

موقع الباعج الأثري: من الحصن إلى القرية

دراسة معمارية أثرية أنثروبولوجية

د. ضيف الله محمد عبيدات

باحث مساعد في الآثار، جامعة آل البيت - متحف سمرقند

تاريخ القبول: 2012/1/17

تاريخ الاستلام: 2012/6/14

The Archaeological Site of Al-Baij: from the Palace to the Village

Architectural, Archeological and Anthropological Study

Daifallah Mohammad Obeidat, Samarqand Museum- Al Al-Bayt University

Abstract

The palace or fortress of al-Baij, in the Northern Jordanian Badiah ca. 17km north east of the city of Al-Mafraq, is built of basaltic stones, the natural stone in the local environment, where it is located on the Southern-west of the Hauran area. The site (fortress) was occupied continuously from the Late Roman through the Umayyad periods. The initial occupation of the site was probably connected with the construction of the Roman road "via nova Traiana" in the early 2nd century.

The remains of the fortress have been completely destroyed in the 1940s Decade of the twentieth century, where Its stones were reused to build new homes for the new population of some nomadic families whom they took it to their stable. They began building their homes on the edge of the ancient archaeological building, and hired builders from the area of Mt. Arab in Syria, have good knowledge and experience with

ملخص

تعرض قصر الباعج منذ أواخر النصف الأول من القرن العشرين للعديد من أعمال الهدم والتدمير، التي قامت بها بعض العائلات البدوية التي استقرت في المنطقة، بهدف الاستفادة من حجارة القصر البازلتية في بناء مساكن لها، حيث قامت تلك العائلات ببناء مساكنها على أطراف المبنى الأثري، واستعانوا ببنايين من منطقة جبل العرب، كان لديهم خبرة جيدة بتقنيات البناء الحجري وبأسرار استخدام الحجارة البازلتية، الأمر الذي أدى إلى تغيير بقعة العمران في المنطقة التي تحولت إلى قرية، تقوم أبنيتها حول نواة مركزية شكلها بالأصل القصر الأثري.

وبالتالي فإن نتائج هذه الدراسة رصدت هذه التحولات في منطقة الباعج ووثقت بقايا القصر القديم ومواده الإنشائية التي استخدمت في عمارة المساكن الحديثة.

الكلمات المفتاحية: قصر، قرية الباعج، العناصر المعمارية، حجرات سكنية، نقوش كتابية.

stone construction techniques using basalt stones. The Druze builders succeeded in establishing a number of residential buildings, in the perimeter of the archaeological fortress. The modern Arab village has so altered the nature of the site as to make the fort practically unrecognizable. This research seeks to identify and document the remaining vestiges of the old Fort building and documented, as well as the stone dwellings built of basaltic stones, and their relationship and interaction with that building.

Keywords: Qasr al-Baij, Northern Jordanian

Badiyah, Architectural remains,

Al-Baij village.

المقدمة:

يتكون موقع الباعج الأثري في الأساس من مبنى واحد، وهو مبنى الحصن الأثري، والذي يطلق عليه أيضاً قصر الباعج، وملحقاته من البرك وخزانات المياه. وهو مبني، بشكل كامل، من الحجارة البازلتية، وهي من مصدر محلي، حيث يقع القصر على الأطراف الجنوبية الغربية للمنطقة البازلتية المحيطة بجبل حوران.

تشير الأدلة الأثرية من هذا الموقع على أنه كان مأهولاً، وبشكل مستمر، منذ الفترة الرومانية المتأخرة وحتى الفترة الأموية (القرن الثاني أو الثالث وحتى أوائل القرن الميلادي الثامن)¹. وعلى أن الإعمار الأول لهذا الموقع كان على الأغلب مرتبطاً بإنشاء الطريق الروماني² المعروف بطريق تراجان

1 - يبدو أن الموقع قد هجر، ربما بنفس الوقت الذي هجرت فيه أغلب المدن والبلدات في هذه المنطقة، وبقيّة المناطق الأردنية، جراء الهزات الأرضية العنيفة التي حدثت في العقد الخامس من القرن الثامن الميلادي (El-Isa 1985: 234)، وبقي كذلك حتى عقد الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، عندما بدأت بعض الأسر البدوية تأخذ منه مستقراً لها.

2 - يأتي هذا الطريق الروماني والذي يعرف بطريق تراجان (via Nova Traiana) من مدينة بصرى الأثرية باتجاه الجنوب، حيث يمر بعمان ثم يواصل سيره إلى خليج العقبة. وعلى الرغم من الاعتداءات المتتالية على هذا الطريق وما لحق به من تخريب طال أجزاء كبيرة منه، جراء عمليات الزراعة وعمليات استصلاح الأراضي في الوقت الحاضر، فإن طريق بصرى - عمان يعد من أفضل الطرق الرومانية المعروفة في منطقة بلاد الشام بشكل عام، من حيث حالته، حيث ما يزال من الممكن ملاحظة وتتبع آثاره على سطح الأرض وعلى مسافات طويلة. ولعل أفضلها ذلك الجزء القريب من قصر الباعج، إذ يمكن تتبع بقاياه على امتداد الطريق الإسفلتي المتفرع من طريق المفرق - بغداد الدولي المؤدي لبلدة الباعج من الجهة الغربية. وهو عبارة عن طريق مرصوف بالحجارة متوسطة الحجم، وهو يتكون من جزأين أو مسربين (ذهاب وإياب) يفصل بينهما صف من الحجارة البارزة قليلاً عن مستوى الطريق، ومثل هذا الصف يوجد أيضاً على جوانبه الخارجية. وقد لقيت هذه الطرق عناية خاصة من قبل العديد من الباحثين الذين قاموا بتتبعها ودراسة بعض الظواهر المتعلقة بها، خاصة ما يتعلق بأحجار المسافات (Milestones) وما تحمله من كتابات (Butler 1911, Magie 1911, Thomsen 1917, Kennedy 1982; 1985; Bauzou 1989). وعلى امتداد الطريق الروماني يمكن

"via nova Traiana" في أوائل القرن الثاني الميلادي (Parker 1986: 24). علماً بأن بعثة جامعة برنستون كانت قد أعادت بناء حصن الباعج إلى عام 411م، إلى الفترة البيزنطية، وذلك بناءً على النقش الذي عثر عليه بالقرب من البوابة الجنوبية للمبنى (Littmann et al. 1910: no. 21). إلا أن بعض الباحثين يرون أن بعثة جامعة برنستون لم تلاحظ سوى مرحلة معمارية واحدة فقط في هذا المبنى، وأعضاء هذه البعثة لم يلاحظوا وجود أي أدلة على أعمال إعادة إعمار في أي جزء منه. لذا يرى هؤلاء بأن المبنى الذي وثقته هذه البعثة وأعادته للفترة البيزنطية، ربما كان قائماً على أنقاض مبنى أقدم، يعود للفترة الرومانية، فترة إنشاء الطريق الروماني (Parker 1986: 24).

لهذا، فالموقع (القصر) أهمية خاصة، بغض النظر عن وضعه الحالي، لوقوعه على مقربة من الطريق الروماني، ولكونه يختلف عن بقية أبراج المراقبة التابعة لهذا الطريق، والمتواجدة على امتداده³. هذا بالإضافة إلى أهميته كأى موقع أثري آخر في هذه المنطقة باعتباره يشكل حلقة مهمة في تاريخها الحضاري.

تعرضت العناصر المعمارية لمبنى قصر الباعج للمزيد من الدمار في عقد الأربعينيات من القرن العشرين⁴، حيث أخذت حجارته لبناء مساكن جديدة آنذاك، عندما بدأت بعض العائلات من القبائل البدوية تستقر في هذا الموقع. وقد أشار نلسون جلوك (N. Glueck)، الذي زاره في سنة 1944م، إلى وجود عائلة بدوية واحدة تقيم في مسكن بني حديثاً (Glueck 1945-49: 18). ويبدو أن هذه العائلة قد شكلت النواة الأولى لهذه القرية، التي أخذت اسمها من اسم الموقع الأثري، والتي نمت وكبرت بشكل متواصل بعد ذلك، من خلال قدوم المزيد من الأسر من نفس القبيلة البدوية⁵ والتي وجدت في هذا المكان مستقراً لها. فقد زاد عدد المساكن التي بنيت، باستخدام حجارة مبنى الحصن الروماني، وبلغ عددها حوالي خمسة عشر مسكناً، بني آخرها على ما يبدو في عام 1963م. إلا أن عملية البناء المستمرة قد أصبحت، منذ الستينيات من القرن العشرين، تعتمد على مواد إنشائية أخرى مثل الإسمنت والحديد والطوب الإسمنتي، لتصبح قرية الباعج في نهاية القرن العشرين واحدة من كبريات القرى في منطقة البادية الأردنية الشمالية. وقد وصل عدد بيوتها إلى ما يزيد عن (400) منزل في نهاية القرن العشرين، تنتشر فوق مساحة تقدر بحوالي 62 كم.

أشار بعض كبار السن من سكان بلدة الباعج إلى أنهم كانوا في الأساس يعتمدون على التنقل والترحال في منطقة سهول حوران. وأن هذا الموقع كان معروفاً لهم من قبل، كانوا يترددون عليه في بعض المواسم، مستفيدين من المياه التي كانت تتجمع في البرك الأثرية، والتي كانت ما تزال صالحة لتجميع مياه الأمطار بعدد مواسم الشتاء. كما أن السهول المحيطة به كانت توفر مراعي جيدة لمواشيهم وأغنامهم. وأنهم كانوا في بداية استقرارهم في هذا الموقع يقيمون في بيوت الشعر، ثم بدأوا بعد ذلك ببناء بيوت لهم من

ملاحظة بعض الرجوم أو التلال الصغيرة جداً، والتي هي عبارة عن بقايا معمارية يبدو واضحاً أنها تتكون من وحدة (غرفة) واحدة. ومن المحتمل أن تكون هذه المباني أو الغرف عبارة عن أبراج مراقبة أو أبراج بريد تابعة للطريق الروماني، كأن تكون مواقع لتبديل المناوبة ومزودة ربما بإشارات إرشادية معينة. هذا بالإضافة إلى ما يعرف بحجارة المسافات أو الأميال (Milestones) والتي هي على شكل الأعمدة الحجرية من الحجر الكلسي، والتي توجد، كما في العديد من الأمثلة، على مقربة من هذه الأبراج. وقد دون أو نقش عليها معلومات تتعلق بهذا الطريق.

3- يتكون البرج الواحد عادة من حجرة واحدة مربعة الشكل، ويفصل بين كل منها والذي يليه مسافة متساوية مقدارها ميل واحد.

4 - وما يزال هذا الموقع يتعرض للمزيد من الدمار، كما لاحظنا خلال زيارتنا المتتالية له، وذلك من قبل العابثين هذه المرة، على الرغم من أنه مملوك لدائرة الآثار العامة.

5 قامت الدولة الأردنية، ومنذ نشأتها، بتشجيع القبائل البدوية ومساعدتها على الاستقرار من خلال تبني وإقامة مشاريع توطيق خاصة بهم.

الحجر. وأن أول من بنى بيتاً من الحجارة كان الحاج سليمان مفضي الشرعة⁶. وهو على الأغلب البيت الذي أشار إليه نلسون جلوك عند زيارته للموقع في بداية الأربعينيات من القرن الماضي (Glueck 1945-49: 18-19).

أقيمت المساكن الأولى على أطراف المبنى الأثري، بإعادة استخدام حجارتها، واستقدم لذلك بناؤون من منطقة جبل العرب من الدروز، كان لديهم معرفة وخبرة جيدة بتقنيات البناء الحجري وبأسرار استخدام الحجارة البازلتية، اكتسبوا من خلال وجودهم في منطقة غنية بالمواقع الأثرية وبمخلفاتها المعمارية القديمة من الحجر البازلتي.

نجح البناؤون الدروز في إنشاء وإقامة عدد من المباني (الدور) السكنية، في محيط مبنى القصر القديم. فتلاشى هذا المبنى الأثري وبرزت هذه المساكن، وتغير المشهد القديم لهذا الموقع الأثري. وكما أشار باركر إلى أن القرية الحديثة التي قامت على أنقاض المبنى الأثري قد غيرت طبيعة الموقع لدرجة أن معالم القلعة الأثرية (الحصن) لم تعد بادية للعيان، وبأنه لم يكن بإمكانه التعرف عليها، عند زيارته للموقع (Parker 1986: 24).

بالإضافة إلى المعلومات التي قدمتها بعثة جامعة برنستون

(Butler 1909: 80-83, Littmann et al. 1910: 42-44)، والتي تمثل المصدر الأساسي للتعريف على هذا الموقع الأثري، فقد تمكن الباحث، خلال عملية التوثيق في العمل الميداني، من جمع المزيد من المعلومات والبيانات الجديدة حوله والتي تسهم في إلقاء المزيد من الضوء عليه والتعريف به وبخصائصه وبالتغيرات التي شملته.

لوحظ بأن بعض البيوت الحديثة، والمبنية من الحجارة البازلتية، تقوم على أجزاء من مبنى الحصن الأثري، لذلك أردنا أن نتبين حقيقة هذا التداخل بين المبنى الأثري وهذه البيوت، وبناءً على ما تقدم يمكن صياغة مشكلة الدراسة من خلال الأسئلة التالية:

1. هل استخدمت بعض أجزاء (حجرات) مبنى الحصن الأثري كمساكن بعد أن تم ترميمها وصيانتها؟
2. هل أقيمت هذه البيوت الحديثة أو بعضها أو أجزاء منها فوق مبنى الحصن الأثري أو أجزاء منه؟
3. ما هي الأنماط المعمارية المستخدمة في بناء البيوت الحديثة؟ وهل تأثرت هذه بالنمط المعماري لمبنى الحصن الأثري؟ وما هي أوجه الشبه والاختلاف بين كل منهما؟

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على:

الأجزاء التي ما تزال قائمة من المبنى الأثري القديم، وعلى طبيعة التغيرات التي طالته في المرحلة المعاصرة. هذا بالإضافة إلى التعرف على المباني السكنية الحديثة المبنية من الحجارة البازلتية ومكوناتها وعناصرها المعمارية، وتحديد موقع كل منها من مبنى الحصن الأثري.

6 - كانت كافة الأسر الأولى التي استقرت في الباعج من قبيلة الشرعة البدوية، ثم توالى الأسر من هذه القبيلة على الاستقرار في الموقع ويشكل أبناء هذه القبيلة حالياً السواد الأعظم من سكان بلدة الباعج. وأن أرباب الأسر التي بنت المساكن الحجرية الأولى في الباعج كانوا من وجهاء هذه القبيلة، ممن كان لديهم الامكانيات المادية والاجتماعية (محمود 2004: 240)

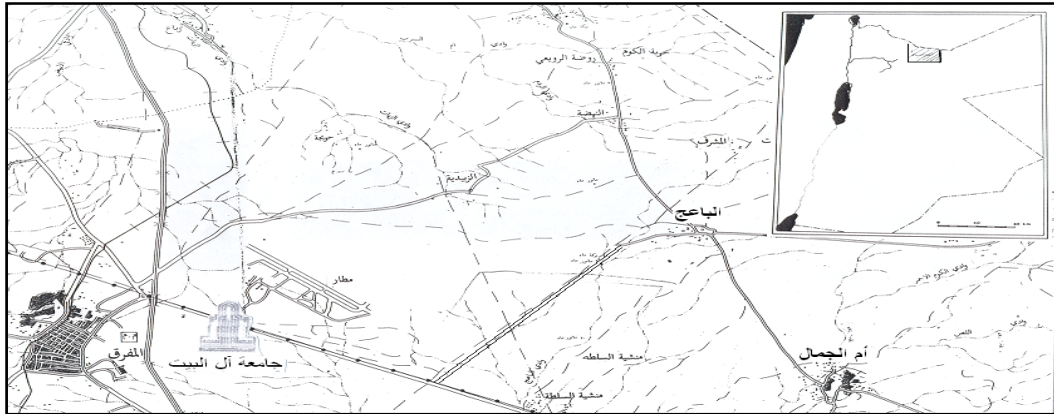
منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي، الذي يسعى من خلاله الباحث إلى رصد تطورات الأحداث عبر الفترات التاريخية المتعاقبة؛ وكذلك على المنهج الوصفي التحليلي، والذي من خلاله يتم رصد الأحداث والوقائع الحالية لظاهرة ما من الظواهر، يحاول الباحث دراستها والوقوف على أبعادها المختلفة، وذلك اعتماداً على:

- المصادر والدراسات الأثرية والتاريخية المختلفة التي أتت على ذكر هذا الموقع الأثري.
- نتائج المسح الميداني للموقع الأثري وتوثيق المخلفات الحضارية المادية فيه من خلال الوسائل المتاحة مثل الوصف، والصور الفوتوغرافية⁷، والرسومات والمخططات المعمارية الهندسية والتوضيحية التي قام بإعدادها الباحث. حيث تم إعداد مخططات أفقية لكافة الوحدات المعمارية (المساكن) التي أقيمت فوق التل الذي يقع عليه القصر. ثم توقيع هذه المخططات على المخطط الأفقي للموقع، والمخطط الأفقي للقصر، لتحديد علاقتها بمبنى القصر الأثري. (شكل رقم 6)
- تحليل العناصر المعمارية والإنشائية لكل من مبنى الحصن الأثري والمساكن المبنية حديثاً من الحجر البازلتي، المأخوذة من حجارة المبنى الأثري.
- الروايات الشفهية لبعض سكان قرية الباعج المسنين، والذين عايشوا فترة إنشاء هذه المساكن.

أهمية البحث

للبحث أهميته من حيث أنه يسهم في توثيق المخلفات الحضارية من التراث المعماري، الأثرية والتراثية، ووضعها بين يدي الباحثين في مجالات الآثار والتراث والأنثروبولوجيا، حيث يمثل موقع الباعج مثلاً فريداً من نوعه على نشوء القرية الأردنية ونموها وتطورها. هذا بالإضافة إلى أن هذه التجربة تعد مثلاً جيداً على تحول المجموعات البدوية في نمط حياتها الذي يعتمد على التنقل إلى حياة الاستقرار، والسكن في بيوت مبنية من الحجارة عوضاً عن بيوت الشعر، وما رافقها من تحولات أخرى ثقافية ومعيشية.



شكل: 1، موقع قصر الباعج في منطقة البادية الأردنية الشمالية

7 - هنا لا يفوتني شكر المصور السيد نعيم الغماز / متحف سمرقند في جامعة آل البيت، الذي ساعد الباحث في التقاط الصور الفوتوغرافية للموقع. علماً بأن عملية معالجتها وإعدادها للنشر قد تمت من قب الباحث.

تعريف بالموقع الجغرافي:

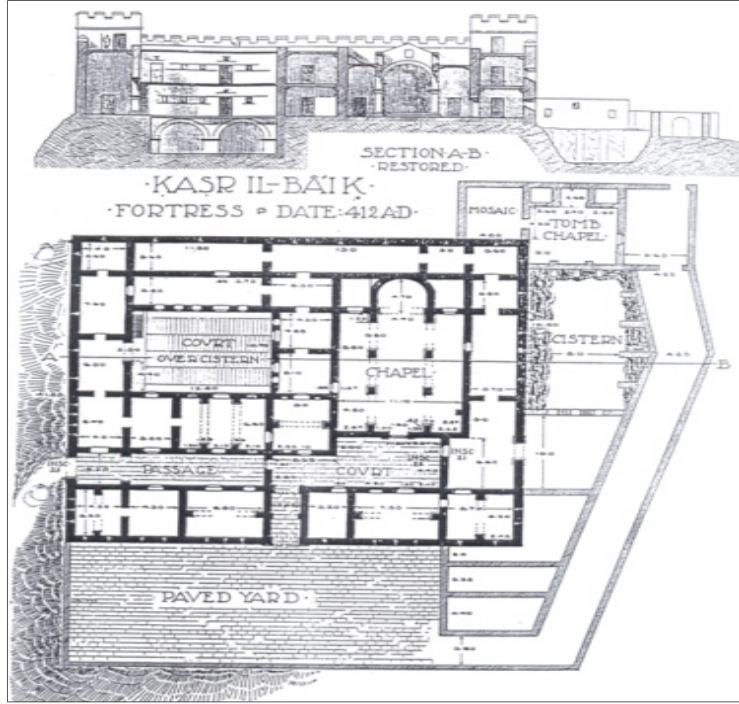
يقع مبنى حصن -القصر- وسط بلدة الباعج، الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة المفرق، على بعد حوالي 17 كم، على مقربة من الحدود الأردنية السورية (شكل: 1)، في الطرف الجنوبي الغربي لمنطقة حوران، المعروفة بمنطقة حوران الأردنية، والتي تضم بالإضافة إليه عدداً آخر من المواقع الأثرية مثل جابر وسما وأم السرب وأم الجمال وصبحا وصبحية والديفانة وأم القطين ودير الكهف (عبيدات 2000). وإلى الشمال الغربي من مدينة أم الجمال الأثرية، على بعد حوالي 4 كم، وإلى الجنوب الغربي من مدينة بصرى الشام الأثرية، على بعد حوالي 20 كم، وإلى الجنوب الشرقي من أم السرب، على بعد حوالي 6 كم. يقع قصر الباعج فوق ربوة، ترتفع عن المناطق المحيطة بها حوالي 8 م، على مقربة (حوالي 1 كم) من الطريق الروماني القادم من بصرى باتجاه الجنوب، وفي الجهة الشرقية منه.

الإشارات والدراسات السابقة للموقع:

يعتبر شوماخر (Schumacher) أول من زار قصر الباعج في عام 1894 م، وأشار إليه بأنه عبارة عن قصر معزول، مربع الشكل تقريباً بطول 65 م وعرض 60 م، ارتفاع جدرانه الخارجية حوالي 4 م. كما ذكر أن الموقع يحتوي على كنيسة صغيرة بداخله، وعلى نقشين كتباً باللغة اليونانية (Schumacher Abb. 55-56, 1897: 153-55)، كما أشار إلى أنه من المتعذر عليه إعداد مخطط لكامل المبنى، بسبب ركام الجدران الخارجية والداخلية. ومن الجدير بالذكر أن شوماخر ألمح لوجود منازل حديثة لبعض الفلاحين تم تشييدها بمحاذاة الجدار الجنوبي للحصن من الخارج، هجرها أصحابها قبل وقت قليل من زيارته، قدرها بعقد من الزمان (Schumacher 1897: 154). إلا أنه لم يصف هذه المنازل من حيث عددها ونمطها، أو المواد التي استخدمت في بنائها فيما إذا كانت من حجارة المبنى أو من مواد أخرى؟ ومن المحتمل أن تكون هذه المنازل قد بنيت لإستخدامات موسمية، عندما كانت بعض الجماعات البدوية تلجأ إلى هذا المكان طلباً للماء والرعي في أوقات توافرها.

وبعد ذلك، بحوالي عشر سنوات، زارت الموقع بعثة جامعة برنستون الأمريكية. وقامت بإعداد وصف شامل للمبنى، وبرسم مخطط له بكافة مرافقه وأجزائه، ورسمت مقطعاً عرضياً يوضح المخلفات المعمارية التي كانت ما تزال ماثلة آنذاك (شكل: 2)، هذا بالإضافة إلى نشرهم لبعض الصور الفوتوغرافية للمبنى (Butler 1909: 80-83, III. 61). وتعتبر هذه المعلومات بمثابة المصدر الأساسي، والأقدم، للمعلومات المتعلقة بمبنى قصر الباعج الأثري بعد أن تم تدميره كلياً في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، لتستخدم حجارتها في المساكن في ذلك الوقت. كما ولم نشر البعثة إلى وجود الأكواخ التي أشار إليها شوماخر، أو أي منشآت حديثة في الموقع.

كما نشرت بعثة جامعة برنستون عدداً من النقوش (الكتابات القديمة) التي عثرت عليها في الموقع (Littmann et al. 1910: 42-44، عبيدات 2003: النقش الثالث والرابع والخامس).



شكل: 2 المخطط الأفقي والمقطع العرضي لمبنى قصر الباعج (Butler 1909 III, 61)

وفي أوائل الأربعينيات من القرن العشرين زار نلسون جلوك Glueck موقع قصر الباعج، ووصف البناء بشكل مختصر، وأشار إلى أنه مدمر كلياً، وتقيم في موقعه عائلة عربية واحدة في مسكن مبني حديثاً من الحجارة المأخوذة من المبنى الأثري (Glueck 1945-49: 18-19).
ثم تبعه في العقد السادس من القرن العشرين الألماني متمن Mittmann الذي نشر منه نقشاً واحداً لم ينشر من قبل (Mittmann 1970: 200-201، عبيدات 2003: النقش السادس)، إلا أنه لم يتطرق لوصف المبنى.

وفي السبعينيات من القرن العشرين، أي بعد أكثر من ثلاثة عقود من بناء القرية الحديثة، أجرى باركر Parker مسحاً ميدانياً للحصون والقلاع الرومانية الواقعة على طريق تراجان، الممتد من بصرى الشام وحتى العقبة الأردنية، وقد كان قصر الباعج من بين المواقع التي زارها في عام 1976م (Parker 1976: 23; 1986: 24-26; 1995: 255-56). وفي كتابه الذي تضمن نتائج مسوحاته الميدانية، وصف باركر موقع القصر، بقوله أنه يقع في المنطقة الجنوبية القريبة من حوران ويبعد مسافة 20 كم عن مدينة بصرى الشام، عاصمة المقاطعة. وبأنه يقوم فوق تلة منخفضة في الجانب الشرقي من طريق تراجان المعروف بـ (via Nova Traiana)، الذي يتفرع منه في ذلك المكان طريق فرعي باتجاه الجنوب الشرقي نحو أم الجمال. وأشار باركر إلى أن القرية الحديثة قد غيرت طبيعة الموقع واختفت معها معالم الحصن الأثري (Parker 1986: 24).

وفي عام 1980م زار الباحث جيفري كنج King هذا الموقع الأثري، وذلك خلال المسح الذي أجراه للعديد من المواقع البيزنطية والإسلامية في هذه المنطقة. وأشار إلى أن مبنى الحصن الأثري، الذي وصفه جلوك في عام 1944م، مدمر كلياً وأن عائلة واحدة تسكنه، قد أصبح الآن (أي بعد حوالي أربعة عقود من

بناء القرية الحديثة) مأهولاً بالسكان، وأن قرية كبيرة قد نشأت حوله. ونتيجة لذلك فإن المخطط الذي أعده بتلر Butler في عام 1910 لمبنى الحصن الروماني، لم يعد ممكناً تبيان معالمه في الموقع (King 1982: 92).

في العام 1980 زار كيندي Kennedy الموقع ووصفه، مشيراً إلى أن الحصن أقيم على تلة منخفضة في منطقة الباعج إلى الشرق من طريق تراجان بحوالي 1 كم وبأنه يبعد عن مدينة أم الجمال حوالي خمس كيلومترات (Kennedy 1982: 299).

كان موقع الباعج من بين المواقع الأثرية العديدة التي شملتها أعمال المسح الميداني للجزء الغربي من منطقة البادية الأردنية الشمالية، والتي قام بها متحف سمرقند في جامعة آل البيت في السنوات السابقة. حيث تم زيارة الموقع عدة مرات متتالية، وذلك لتوثيق ما أمكن من معالمه البادية للعيان. وقد تم نشر النتائج في دراسات متعددة: منها دراسة بعنوان: "قصر الباعج في منطقة البادية الأردنية الشمالية" (عبيدات 2004: 2005-2033) حيث حاول الباحث خلالها التعرف على الأجزاء المتبقية من المبنى الأثري، وذلك على ضوء الوصف والمخطط الأفقي الذي وضعه بتلر لمبنى الحصن الأثري، ومقارنته بالوضع الحالي الذي آل إليه. وقد أشار الباحث إلى أنه أمكن التعرف على أغلب أجزاء ومكونات الموقع الأثري ومبنى الحصن الأثري التي أشار إليها بتلر. وهناك دراسة أخرى بعنوان: "نقوش من قصر الباعج" (عبيدات 2004: 209-232) قام بها الباحث بالتعريف بالنقوش التي تم التعرف عليها في هذا الموقع الأثري.

كما نشر عبد العزيز محمود دراسة أنثروبولوجية بعنوان: "الباعج، بلدة أردنية في البادية الشمالية، دراسة اجتماعية عمرانية" (محمود 2004: 233-264) تناول فيها التاريخ الاجتماعي والعمراني لهذه القرية الحديثة النشوء، معرّفاً بالتركيبة الاجتماعية وأصولها وامتداداتها العشائرية، والنسيج العمراني التقليدي الذي بدأت به القرية. هذا بالإضافة إلى الأنماط الاقتصادية التي عرفها وعاشها سكان هذه القرية.

التسمية:

يأتي اسم قصر الباعج في المراجع المختلفة التي جاءت على ذكر الموقع بأشكال مختلفة، فقد ذكره شوماخر باسم البايك (el-bāek) (Schumacher 1897: 153). ويذكره بتلر باسم الباكي (el-Bāki) (Butler 1910: 81). في حين أشار إليه لثمن باسم قصر الباعق (il-Bā'iq)، على النحو الذي يلفظ في لهجة الدروز، وهو يعتقد بأن هذا هو اللفظ الصحيح لاسم هذا الحصن. كما يشير إلى أن البدو يلفظون الاسم (il-Bā'ig)، حيث يحولون القاف في نهاية الكلمة إلى جيم فتصبح الباعج (il-Bā'ij)، ويرى بأن هذا تحويراً عن اللفظ الصحيح للاسم (littman 1910: 42). وهو الاسم الذي ما زال يطلق على القرية التي تحيط مبانيها بهذا الموقع الأثري.

البيوت (الدور) الحديثة:

تمثل دراسة قرية الباعج الأولى فرصة فريدة من نوعها للتعرف على نشأة هذه القرية، والتحويلات العمرانية والمعمارية التي طرأت عليها. منطلقين من مجموعة من الأسئلة أو التساؤلات، مثل: إلى أي مدى تأثر تصميم هذه المساكن بتصميم المبنى الأثري، بوحداته وعناصره المعمارية؟ هل هناك أوجه شبه في

تصميم بيوت الباعج الحديثة وبين تصميم بيت الشعر الذي ألفته هذه الأسر البدوية وعاشت فيه من قبل؟ كيف تنتزع الدور في القرية، وبالتالي هل تأثر تصميم القرية، والمقصود هنا توزيع الدور على المكان، بفكرة توزيع مجموعة بيوت الشعر للمجموعة البدوية في مضاربها. وهل تأثر تصميم الدور الحديثة بفكرة تصميم وتوزيع فراغات بيت الشعر؟ وماهي الوظيفة التي كان يسعى إليها السكان الأول لهذه الدور؟ أم أن هذه العوامل تأثرت بمعطيات أخرى مثل دور البنائين أنفسهم وبخبراتهم، وبالمواد الإنشائية المستخدمة؟ هل كان البنائون لديهم المعرفة التقنية باستخدام الحجارة البازلتية؟ هل اعتمدوا على خبراتهم المكتسبة؟

لوحظ بأن، الدور البازلتية تنتزع حول الموقع (مبنى الحصن) الأثري، والذي شكل المركز بالنسبة لقرية الباعج الحديثة. ولوحظ بأن كل دار تقوم بشكل منفرد ومستقل وحدها، تفصل بينها مساحات مختلفة، وغالباً لا وجود لجدران مشتركة فيما بينها، على خلاف ما هو معهود في القرى الفلاحية، حيث تتجاوز بيوتها جنباً إلى جنب، وتشترك بعضها بجدار واحد في أغلب الأحيان، لدرجة أنه بإمكان الشخص التنقل فوق سطوح البيوت، من سطح إلى آخر.

وقت البناء:

من الثابت أن المساكن الحديثة في موقع الباعج تعود في إنشائها إلى بداية عقد الأربعينيات من القرن العشرين. فمنازل الفلاحين التي أشار إليها شوماخر، بأنها تقوم بمحاذاة الجدار الجنوبي للحصن، والتي هجرت كما ذكر قبل زيارته بعقد من الزمان (Schumacher 1897: 154)، لم تعد قائمة. كما أن شوماخر لم يوضح ما هي المواد التي كانت مستخدمة في بنائها. ويبدو أن هذه الأكواخ كانت بسيطة في بنائها، قليلة الارتفاع، ربما بنيت جدرانها من الحجارة، وسقفت بمواد بسيطة قد تكون النباتات أو قطع من بيوت الشعر. ويعتقد بأن هذه الأكواخ كانت تستخدم في مواسم معينة من قبل بعض الجماعات البدوية التي كانت تتردد، بقطعانها من المواشي والأغنام، على هذا المكان في بعض الأوقات من السنة، لتقيم فيه مؤقتاً، مستفيدة من المياه التي كانت تتجمع في خزانات المياه الموجودة في الموقع ومن المراعي في المناطق القريبة منه.

ويبدو أن الموقع قد بقي مهجوراً حتى نهاية عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، عندما بدأت بعض العائلات البدوية تجد فيه مستقراً لها. فقد أشار جلوك والذي زاره في ذلك الوقت، مشيراً إلى أن القصر كان مدمراً كلياً، وأن عائلة عربية واحدة تقيم في كوخ (مسكن) بني حديثاً من الحجارة المأخوذة من المبنى الأثري (Glueck 1954: 18-19). إلا أنه لم يوضح موقع هذا الكوخ أو حجمه أو مكوناته.

من الواضح أن عدد الأسر، التي اختارت الاستقرار في هذا المكان، قد زاد مع مرور الوقت، وزاد معه عدد البيوت (الدور) التي أقيمت باستخدام حجارة مبنى الحصن الأثري، ليبلغ عددها بعد حوالي عقدين من الزمن خمسة عشر بيتاً، بني آخرها في عام 1963م.

يبدو أن المساكن الأولى قد بني بعضها بشكل كلي أو جزئي فوق أنقاض المبنى الأثري. يدل على ذلك عمليات الإصلاح والترميم للأجزاء التي كانت ما تزال قائمة من المبنى الأثري، كما هو الحال في المسكن (2، 3، 8). وقد بنيت بعض المساكن الأخرى معتمدة على بعض جدران المبنى الأثري والتي كانت، بشكل أو بآخر، قائمة وسليمة بارتفاع معين، حيث تم تكملتها بإضافة مداميك جديدة فوقها ورفعها حتى السقف، مثل الجدران الخلفية في المسكن رقم (4، 6). وعند تفحص مثل هذه الجدران الخلفية يمكن التعرف على الأجزاء القديمة في أسفلها، كما يمكن تمييز الأجزاء التي أضيفت حديثاً فوقها.

مواد البناء الإنشائية:

استخدم في بناء حصن الباعج كتل حجرية بازلتية وهي قطع من الصخر الطبيعي الذي يكثر في المنطقة، حيث ان هذا الحصن يقع على الأطراف الجنوبية الغربية لمنطقة حوران البازلتية وهي المنطقة المحيطة بجبل حوران البركاني، مركز هذه المنطقة⁸.

ويبدو أن حجارة البناء قد تم الحصول عليها في الأساس من مقالع (محاجر) للحجارة تم حفرها بنفس الموقع، بجوار المبنى. وقد استغلت الحفر التي نتجت عن ذلك في هذه المقالع إلى برك وخزانات للمياه، فقد أشار بتلر إلى ذلك خلال وصفه للمبنى الأثري (Butler 1909: 81).

وقد شكلت حجارة مبنى الحصن الأثري المصدر الأساسي، وربما الوحيد، لحجارة البناء للدور الحديثة، والتي أقيمت في فترة الأربعينيات وحتى الستينيات من القرن العشرين. وهكذا كانت الحجارة جاهزة للبناء ولا تحتاج لعملية إعداد أو تشذيب من قبل حجارين متخصصين.

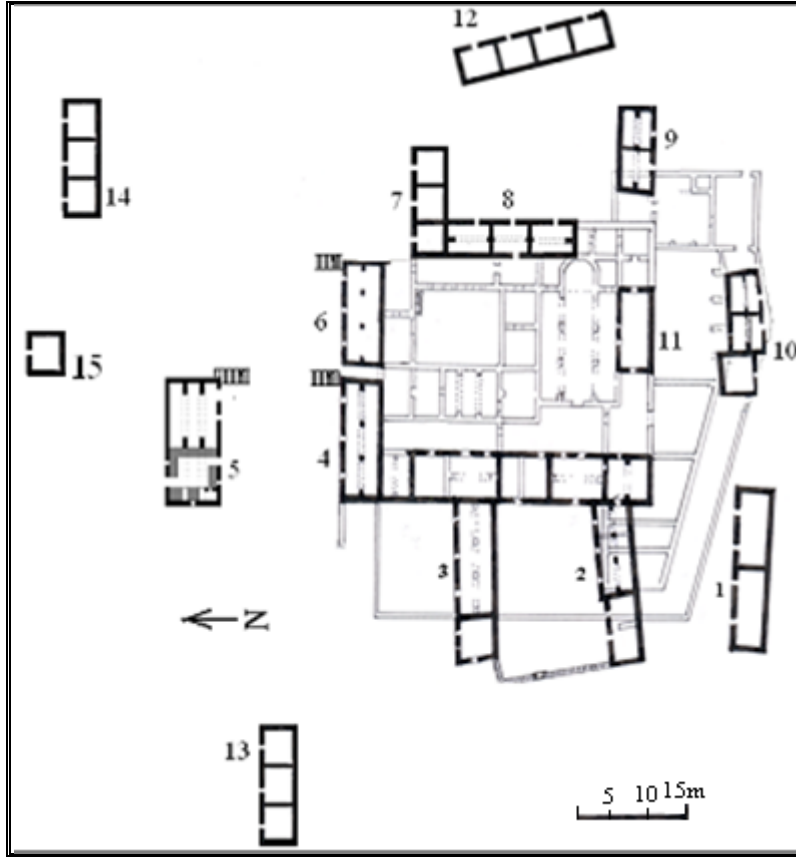
وكما هو الحال في مبنى الحصن الأثري، فقد استخدمت الحجارة البازلتية في كافة العناصر الإنشائية والمعمارية للمساكن الحديثة، مثل الجدران والأقواس (القناطر)، وحتى السقف أيضاً، والأبواب أحياناً. هذا وقد زودت بعض هذه الدور (4، 5، 6) بأدراج خارجية، ملاصقة لها، بنيت هي الأخرى من الحجارة البازلتية أيضاً.

البنائون:

استعان سكان قرية الباعج، في أعمال البناء، ببنايين مهرة، ومساعدين لهم، من الدروز المقيمين في منطقة جبل العرب، كان لديهم خبرة بأمور البناء، ومعرفة جيدة بكيفية التعامل مع الحجارة البازلتية. فهم كانوا يقيمون في قرى غنية بالمخلفات المعمارية الأثرية المبنية من الحجارة البازلتية، والتي استخدموها للسكن. وقد كان سكان الباعج، في ذلك الوقت، على معرفة بقرى منطقة جبل العرب وسكانها، من خلال تردهم عليها.

كما تم استخدام بعض الأسر بنائين من منطقة إربد، لبناء بعض هذه الدور المبنية من الحجارة البازلتية. وقد لوحظ بأن سقوف هذه الدور لا تقوم على القناطر، بل هي مدعمة بالعوارض الخشبية والحديدية. وهذا يشير ربما إلى أن هؤلاء البنائين لم يكن لديهم الخبرة في طرق وتقنيات بناء الأسقف الحجرية، مثل البنائين الدروز. ومن الواضح أن هذه الدور تعود إلى تاريخ أحدث من تاريخ بناء البيوت التي تقوم سقوفها على القناطر.

8 - والحجر البازلتي هو عبارة عن حمم أو تدفقات بركانية، تراكمت في هذه المنطقة، نتيجة نشاطات بركانية عديدة في فترات زمنية قديمة متعاقبة (عابد 1982:116).

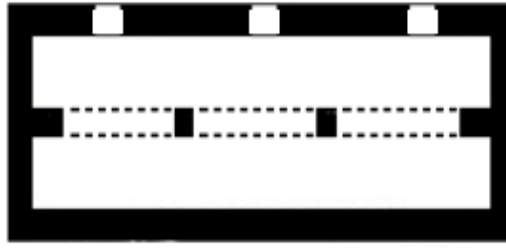


شكل رقم:3، المخطط الأفقي لكل من مبنى القصر الأثري (غير المظلل)، والمسكن الحديثة (المظلل).

أنماط المساكن:

يتألف المسكن من عدد من الحجرات السكنية المتجاورة، تتراوح من حيث العدد بين حجرتين إلى أربعة، تم بناؤها على صف واحد (شكل: 4)، لها أبواب تفتح مباشرة على ساحات أمامية تتقدمها، وهو ما يطلق عليه الحوش. ويختلف الحوش في مساحته من منزل إلى آخر، فهو صغير نسبياً كما هو الحال في البيت (2)، وهو أكبر في البيوت (3، 4، 7). يقوم صف الحجرات، الذي يختلف في طوله حسب عدد ومساحة الحجرات التي يتكون منها، على أحد أطراف الحوش، وبقيّة الأطراف محاطة بسور مبني، بشكل بسيط وغير منتظم، من صف واحد من الحجارة البازلتية، بارتفاع المساحة أربعة أو خمسة مداميك، يحيط بهذه الساحة (الحوش). ومن الجدير بالذكر أن بعض البيوت (9، 10) لم يلاحظ فيها وجود ما يدل أنه كان لها أحوش خاصة بها، حيث لا يوجد أسوار تحدها الأمامية.

لا يوجد ما يشير إلى أن هذا الحوش كان يستغل للزراعة في ذلك الوقت، وهو على الأغلب كان يستخدم كحظائر للمواشي والأغنام. علماً بأن بعض هذه الساحات الأمامية لبعض البيوت في الباعج قد زرعت حديثاً بأشجار الزيتون. وهذا بعد أن هجرت هذه البيوت ولم تعد مستخدمة إلا لبعض الاستخدامات البسيطة مثل تخزين التبن والأعلاف للأغنام. وقد زرعت هذه الساحات للاستفادة من الأرض وربما من باب التأكيد على ملكيتها.



شكل رقم 4: مخطط أفقي لأحد المساكن، يوضح العقد المستعرض

وقد أضيفت في بعض المساكن (2، 3) تم إضافة بعض الحجرات الجديدة، بجوار صف الحجرات القديمة. وهي مهدمة حالياً، ولم تسقف باستخدام تقنية الأقواس أو القناطر، بل على الأرجح باستخدام العوارض الخشبية. وهي كما يبدو بنيت في وقت متأخر عن الوقت الذي بنيت فيه تلك الحجرات التي بنيت في الأربعينيات. وهي مبنية بشكل يختلف، من حيث نمط وتقنية البناء، إذ جاءت ببناء غير متين وغير متماسك، الأمر الذي جعلها تتهدم سريعاً.

يمكن تقسيم المساكن من حيث عدد الحجرات التي تتألف منها إلى نوعين: الأول ويتكون من حجرتين على النحو الذي يمكن مشاهدته في مخطط البيت رقم (4، 10، 11)، أما النوع الثاني فيتكون من ثلاث حجرات.

يختلف نمط المباني السكنية هذه في تصميمها عن نمط المباني السكنية الأثرية المعروف في أغلب مواقع منطقة حوران الأثرية. حيث يتألف البيت السكني من عدة عناصر أساسية مثل المدخل المسقوف والذي يؤدي إلى فناء مكشوف أو ساحة سماوية تحيط بها وحدة معمارية أو أكثر. وتتألف الوحدة الواحدة من حجرة رئيسية سقفها مرتفع، ويحيط بها، من جانب واحد أو من الجانبين، حجرات صغيرة، قليلة العرض والارتفاع، بواقع حجرتين بجانب الحجرة الرئيسية. وكانت الحجرات الرئيسية تمثل غرف المعيشة، في حين كانت الحجرات السفلية منها تستخدم كإسطبلات للدواب، والعلوية للنوم. وكان يتم الوصول إلى الحجرات العلوية من خلال أدراج طائفة خارجية، من أرضية الحوش، أو أدراج داخلية من غرفة المعيشة الرئيسية. وفي بعض الأمثلة كانت البيوت تتألف من دورين اثنين، أي غرفتين رئيسيتين اثنتين فوق بعضهما، وبجوارهما حجرات جانبية في أربعة أدوار (Butler 1913: 194-205).

تعريف بالمساكن:

فيما يلي تعريفاً مختصراً بكل مساكن قرية الباعج التي بنيت على أنقاض مبنى الحصن الأثري. وسوف يتم التعريف بعلاقة كل منها بالمبنى الأثري، حيث تبين أن بعضها قد بني كلياً أو جزئياً على بعض أجزاء منه أو جدرانها. وقد تم إعداد مخططات لكافة هذه البيوت وتوقيعها على مخطط الحصن الروماني الذي أعده بتلر، وهي المساكن التي تم إعطاؤها الأرقام من (1-15) (شكل: 3) ويمكن استعراضها على النحو التالي:

المسكن رقم 1: (شكل: 3)

يقع في الجهة الجنوبية الغربية من مبنى الحصن الأثري، وهو مبنى مستطيل الشكل طوله 24م، وعرضه 5,50م. وهو مقسم إلى نصفين من خلال جدار عريض، اشتمل كل منهما على حرتين، لكل منها مدخل في الجدار الشمالي، وهي واجهة المسكن الأمامية. المبنى مهدم حالياً، ولم يبق منه سوى أجزاء من الجدار الجنوبي (الخلفي) بارتفاع حوالي 3م، وبقية الجدران بارتفاع حوالي 1م فقط. لم يلاحظ وجود بقايا لأقواس أو شبائح حجرية، مما يشير إلى أنه لم يكن مسقوفاً بالحجارة، كما هو الحال في بقية المساكن. وعلى الأرجح أن بناء هذا المسكن يعود إلى فترة متأخرة عن الفترة التي بنيت بها المساكن الأخرى. يوجد أمام هذا المسكن مساحة بعرض حوالي 15م، تشكل ساحة الأمامية وتفصله عن المسكن (2).

ومن الجدير بالذكر أن مبنى هذا المسكن يقع كلياً خارج حرم الحصن الروماني، إلى الجنوب من مسار الممر المسور الذي كان يصل بين الفناء الخارجي الغربي لمبنى الحصن ومدخله الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية، ماراً على أطراف البركة الجنوبية (Butler 1909: 83, III. 61). وما تزال بقايا هذا السور تظهر على سطح الساحة الأمامية لهذا المسكن.

المسكن رقم 2 (شكل: 3، صورة: 1):

يقع بالقرب من الركن الجنوبي الغربي للحصن الأثري، وإلى الأمام من المسكن (1)، ويتألف من وحدتين معماريتين، الأولى مستطيلة الشكل تمتد شرق - غرب، بطول حوالي 13م، حيث يشكل الجدار الغربي للحصن طرفها الشرقي. وتتألف من ثلاث حجرات متجاورة، لكل منها مدخل في وسطها، في الجدار الشمالي، واجهتها الأمامية، وتقضي إلى الحوش.

أما الوحدة الثانية فهي أيضاً مستطيلة الشكل، وتمتد شمال - جنوب، وتشكل مع الأولى شكل حرف (L). وتتألف من ثلاث حجرات أيضاً، وهي تشكل جزءاً من المبنى الأثري، وهي الحجرات الواقعة في الزاوية الجنوبية الغربية من مبنى الحصن (Butler 1909: 83, III. 61؛ عبيدات 2004: شكل 3، حجرات رقم 19-21). الحجرة الجنوبية من هذه الوحدة، وهي الواقعة في الزاوية الجنوبية الغربية لمبنى الحصن، تقع تقريباً على امتداد الحجرة الشرقية في الوحدة الأولى والمبنية حديثاً، ولها مدخل داخلي يصل بينهما، وهو المدخل الذي يوجد به الباب الحجري (شكل: 6، صورة: 14)، بينما الحجرتان الوسطى والشمالية تنفرد كل منهما بمدخل منفصل في الجدار الغربي، واجهتهما الأمامية، يؤدي إلى الحوش.

تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الجزء من المسكن (الوحدة الثانية) مدمر حالياً، ولم يتبقى منه سوى الأجزاء السفلية من الجدران. كما يبدو أن حجراته قد تم ترميمها في نفس فترة بناء الوحدة الأولى، أي في العقد الرابع من القرن الماضي. حيث تم إعادة بناء الجدار الغربي المطل على الفناء والذي يوجد به بابان، واحد للحجرة الوسطى والثاني للحجرة الشمالية. ومن الجدير بالذكر أن الحجرة الشمالية كانت تضم أيضاً المدخل الغربي لمبنى الحصن الأثري، والذي كان يفضي إلى الفناء الخارجي المبلط، والحجرة الضيقة التي كانت بجواره (Butler 1909: III. 61؛ عبيدات 2004: شكل 3، حجرة رقم 21).

يقع هذا المسكن مباشرة خلف المسكن رقم (3)، والساحة التي تفصل بينهما هي عبارة عن الحوش الأمامي له، ويبلغ عرضها (شمال جنوب) حوالي 14م، وطولها (شرق غرب) حوالي 21م. كانت هذه

الساحة (الحوش) حتى وقت قريب محاطة من الجهة الغربية بسور يفصلها عن الشارع، وكان لها مدخل عريض وعالي، عليه باب خشبي، يفصل الحوش عن العالم الخارجي.

ويضم هذا الحوش مساحة كبيرة من الفناء الخارجي المبلط الذي كان يقع أمام المدخل الغربي لمبنى الحصن (Butler 1909, III. 61)، وقد أشار بتلر إلى أن مساحته تبلغ (31.50م×15.70م). ويقوم الجدار الشمالي للوحدة الأولى تقريباً على الطرف الجنوبي لهذا الفناء المبلط، في حين أن جدارها الغربي يقوم مباشرة على جزء من السور الذي كان يحيط بالممر المسور (Butler 1909: 83؛ عبيدات 2004: 2020). ومن الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من البلاطات الحجرية التي كانت تغطيه آنذاك ما تزال ظاهرة على السطح في هذا الحوش حتى الآن.

إن سقف هذه الوحدة ظل سليماً حتى تهدم قبل عشر سنوات تقريباً، وهو من الشبائح الحجرية التي تستند على العقود الممتدة، وبقيت الجدران سليمة قائمة حالياً بارتفاعها الأصلي. كما لوحظ أيضاً أن لباب الحجري الذي كان يوجد في الجدار الشرقي للحجرة الشرقية مكسر وملقى تحت الأنقاض. ويبدو أن هذا التخريب كان جراء عمليات النيش من قبل بعض العابثين بحثاً عن الكنوز والدفائن، حيث لوحظ وجود حفرة كبيرة في أرضية الحجرة الغربية، أمام قاعدة العقد المستعرض.

كما امتدت أيدي العابثين أيضاً إلى الساحة الأمامية المبلطة، وأحدثوا فيها حفرة واسعة عميقة بهدف إقامة خزان للمياه مستطيل الشكل، طوله 3.5م وعرضه 2.5م، وتبدو جدران الخزان من الداخل مكسوة بطبقة من الحجارة الصغيرة المثبتة بالجير.



صورة رقم: 1: المسكن رقم 2، الواجهة الأمامية، والفناء الأمامي، يظهر في الصورة جزءاً من الفناء المبلط، كما يظهر الحفرة الحديثة التي كشفت عن خزان الماء.

المسكن رقم 3: (شكل: 3، صورة: 2)

يقع هذا المسكن أمام البيت (2) مباشرة، ويتألف من وحدتين معماريتين، مستطيلتي الشكل، تمتد الأولى من الشرق إلى الغرب مسافة 17م، وتقوم مباشرة فوق الفناء الخارجي المبلط الذي كان يقع أمام

المدخل الغربي لمبنى الحصن الأثري (Butler 1909: 83, III. 61)؛ وتمتد الثانية شمال - جنوب، لتشكل مع الوحدة الأولى حرف (L).

تتألف الوحدة الأولى من ثلاث حجرات متجاورة، أضيف إليها حجرة رابعة فيما بعد من الجهة الغربية، ولكل منها مدخل فتح في منتصف الجدار الشمالي ويؤدي إلى الساحة الأمامية. يقع الجدار الغربي لهذه الوحدة مباشرة على الطرف الغربي لفناء الحصن المبلط القديم، والجدار الشرقي هو جزء من جدار مبنى الحصن. بناءً على مخطط بتلر (Butler 1909, III. 61) يفترض أن بقية هذا الفناء المبلط تقع في حوش هذا البيت، إلا أنه لم يلاحظ وجود أي من بلاطه الحجري على السطح. ربما تكون قد اقتلعت من أماكنها لاستخدامها كحجارة بناء، أو أنها ما تزال مدفونة تحت التراب.



صورة رقم 2: المسكن رقم 3: من الشمال (الواجهة الأمامية)

سقف هذه الوحدة كان سليماً حتى قبل عدة سنوات، وكان من الشبائح الحجرية التي كانت تستند على قناطر تمتد من الغرب إلى الشرق، إلا أنه مهدم حالياً، وبقيت الجدران سليمة قائمة حالياً بارتفاعها الأصلي. أما الوحدة الثانية من هذا البيت، والممتدة شمال - جنوب فهي مؤلفة من حجرتين، وهي عبارة عن جزء من مبنى الحصن الأثري، وهي الحجرات الواقعة في زاويته الشمالية الغربية (Butler 1909: III. 61؛ عبيدات 2004: شكل 3، حجرات رقم 22، 23). هذا الجزء مهدم حالياً، ويبدو أنه كان سليماً عند بناء الوحدة الأولى، وبخاصة الحجرة الجنوبية منه والواقعة إلى الشرق من الوحدة الأولى، حيث تم تنظيفه من الأنقاض وترميم الأجزاء المهتمة وإجراء بعض التعديلات عليه، مثل المدخل الذي يربطه بالفناء الأمامي للبيت. ويفضي هذا المدخل إلى حجرة مستطيلة الشكل، تركت على الأغلب بدون سقف، لتكون بمثابة فناء داخلي أمام الحجرة الجنوبية. الجدار الفاصل بين هذا الفناء الداخلي والحجرة الجنوبية، بني مكانه عقد مستعرض جديد. ربما كان يقصد زيادة مساحتها للحصول على حجرة طويلة، إلا أن هذه القنطرة قد سدت بجدار في وسطه مدخل يؤدي إلى الفناء الداخلي للحجرة الجنوبية. اكتاف القنطرتين المتوازيتين وأجزاء من القوس ما تزال قائمة داخل الحجرة الجنوبية، وهي مبنية من حجارة مشدبة ومنتظمة الشكل، وبمنط معماري يختلف عن ما هو موجود في مباني المساكن الحديثة، مما يشير إلى أنها ربما تعود لمبنى الحصن وأنها كانت قائمة عند بناء المسكن في الأربعينيات من القرن الماضي. علماً بأن المخطط الأفقي الذي وضعه بتلر لمبنى الحصن (Butler 1909: III. 61) يظهر هذه الحجرة وبداخلها قنطرة واحدة فقط تمتد شمال - جنوب. مما يدفع للاعتقاد أن بتلر قد أخطأ في ذلك، ومما يؤيد هذا أن بتلر كان يعتمد على البيانات

والقياسات التي يوتقها للمباني أثناء زيارته الميدانية ومن ثم يقوم لاحقاً برسم المخططات لها بناءً على هذه البيانات.

المسكن رقم 4: (شكل: 3، صورة: 3)

شيد هذا المسكن إلى الشمال الشرقي من البيت (3)، ويتألف من مبنى واحد مستطيل الشكل بثلاث حجرات، لكل منها مدخل، في الجدار الشمالي، ويؤدي إلى حوش واسع، مشترك مع البيت (5). ويوجد فوق كل مدخل فتحة صغيرة مربعة الشكل للتهوية، وللحجرة الغربية نافذة ارتفاعها حوالي 115 سم وعرضها 70 سم، وترتفع عن أرضية الحجرة 70 سم، تطل على حوش البيت (3). وللحجرة الغربية مدخل آخر في الجدار الخلفي، إلا أنه مغلق بالحجارة. وسقفه ما يزال سليماً حتى الآن، ويقوم على ثلاثة قناطر تمتد شرق غرب. وملحق به درج خارجي في الجهة الشرقية، في الطرف الشرقي للحوش. الفتحة الموجودة في سقف الحجرة الشرقية، تشير إلى أن هذا الدرج كان يستخدم لنقل الأعلاف إلى السطح ليصار إلى تفرغها داخل الحجرة والتي كانت تستخدم كإسطبل ومخزن للأعلاف. علماً بأن جدرانها الداخلية مغطاة بالقصارة الطينية، وفوقها طبقة من الجير الأبيض. وقد لوحظ أيضاً وجود طبقة من الطلاء باللون الزهري تغطي الأجزاء السفلية من الجدران بارتفاع حوالي 1م، مما قد يشير إلى أن هذه الحجرة كانت تستخدم للأغراض المعيشية لسكان البيت، وربما وفي مرحلة لاحقة استخدمت كإسطبل للدواب.

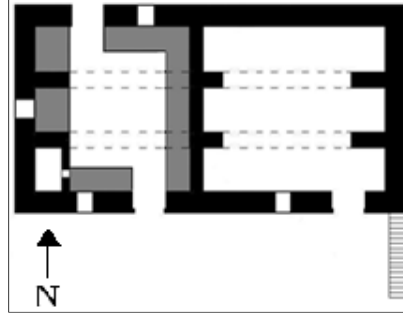


صورة رقم 3: المسكن رقم 4، صورة قديمة

ومن الجدير بالذكر أن الجدار الخلفي لهذا البيت يقوم مباشرة على الجدار الخارجي لمبنى الحصن الروماني في الجزء الغربي من الجدار الشمالي، ويقع في هذا الركن من مبنى الحصن حجرة ويليها من الشرق المدخل الشمالي لمبنى الحصن وإلى الشرق من هذا الممر حجرة أخرى (Butler 1909: III. 61)؛ عبيدات 2004: شكل 3، حجرات رقم 8، 24)، حيث ما يزال بالإمكان التعرف على الأجزاء القديمة من الجدار، على الأقل بارتفاع خمسة مداميك، وهي مبنية من حجارة كبيرة الحجم، وما تزال الفواصل بين الحجارة مغطاة بطبقة من القصارة الجيرية، يتخللها حجارة صغيرة وحصى، وهي التقنية المتعارف عليها في المباني الأثرية القديمة.

المسكن رقم 5: (شكل: 3، 5، صورة: 4)

يقع إلى الشمال من البيت (4)، ويواجهه تماماً، يفصل بينهما مساحة تشكل حوشاً مشتركاً لهما. يختلف هذا البيت عن البيوت الأخرى من حيث أنه يتألف من حجرتين اثنتين كبيرتين، وواسعتين، حيث يقوم سقفه على صفيين اثنين متوازيين من القناطر. وهو مزود بدرج بسيط خارجي، بمحاذاة جداره الشرقي. كما يمتاز بكثرة المداخل والنوافذ فيه، فلكل حجرة مدخل، ونافذة صغيرة نسبياً (70×110سم)، في الجدار الجنوبي، وهو واجهته الأمامية. كما يوجد في الحجرة الغربية مدخل آخر ونافذة ثانية في الجدار الخلفي، ونافذة ثالثة في الجدار الغربي.



شكل رقم 5: مخطط أفقي للبيت رقم 5

الحجرة الغربية من هذا البيت خصصت مضافة لصاحب البيت، وهي تنفرد في تصميمها الداخلي، وفي جودة المواد المستخدمة في البناء والتشطيبات عن بقية المساكن الأخرى. الفراغ الداخلي للحجرة يتكون من دكة (مسطبة) للجلوس (شكل: 5)، على محيط الجدار من الداخل، ارتفاعها 35سم عن أرضية الحجرة، وعمقها 90سم، وهي مبنية من الحجارة البازلتيّة سطوحها مشذبة ومستوية، كان بعضها على ما يبدو في الأصل أبواباً حجرية (حلس) من مبنى الحصن الأثري. في الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الحجرة يوجد خزان حبوب (كوارة) مبنية من الطوب الإسمنتي⁹. وفي السقف، فوق الكوارة، يوجد فتحة اسطوانية الشكل مكسوة من الداخل بأسطوانة معدنية قطرها حوالي 20سم، من الواضح أنها كانت تستخدم لملء الكوارة بالحبوب عن طريق السطح.

ويتصل بهذه الحجرة من الجهة الشرقية حجرة مستطيلة الشكل، يغلب على الظن أنها كانت بمثابة اسطبل للدواب ولتخزين أعلافها، ويدل على ذلك الفتحات الموجودة في سقفها. هذا بالإضافة إلى أنها تختلف عن الحجرة الغربية من حيث نمط وجودة البناء، والمعالجات الأخرى للجدران الداخلية.

9 - يختلف الطوب الإسمنتي المستخدم في بناء الكوارة عن الطوب المستخدم حالياً، فهو من كتلة مسمطة لا تتخلله فراغات، وهو على الأرجح قديم يعود لفترة بناء هذا البيت. وعلى الأغلب أن استخدام الاسمنت والطوب الإسمنتي في هذا البيت يعتبر أول استخدام لمادة الاسمنت في قرية الباعج.



صورة رقم 4: المسكن رقم 5: الواجهة الأمامية والدرج الحجري.

المسكن رقم 6: (شكل: 3، صورة 5)

يقع إلى الشرق من البيت (4)، وعلى امتداده تماماً، ويفصل بينهما فراغ عرضه حوالي 4م. ويتألف من أربع حجرات، شيدت في صف واحد يمتد شرق - غرب، ولكل منها مدخل في الجدار الشمالي، واجهته الأمامية، يفضي إلى ساحة أمامية واسعة. سقفه حالياً مهدم، علماً بأنه كان سليماً حتى وقت قريب. الجدار الخلفي (الجنوبي) لهذا البيت يقع مباشرة فوق الأجزاء الشمالية الشرقية من الجدار الخارجي (الشمالي) لمبنى الحصن الروماني، كما هو الحال في البيت (4) (Butler 1909: III. 61؛ عبيدات 2004: شكل 3، حجرات رقم 9، 10). وربما كانت أجزاء من جدار الحصن قائمة عند بنائه، حيث تم رفعها حتى مستوى السقف. مما يشير إلى أن هذا البيت قد بني على مرحلتين، حيث بنيت حجرتين في كل مرحلة، ولكل من الحجرتين الشرقيتين نافذة بجانب المدخل الرئيسي. ولهذا البيت درج خارجي في الجهة الشرقية.



صورة رقم 5: البيت رقم (6)

المسكن رقم 7: (شكل: 3، صورة: 6)

يقوم إلى الشمال من البيت (8)، ويشكل معه زاوية قائمة، حيث أن الجدار الخلفي للحجرة الغربية مشترك مع الحجرة الشمالية في البيت 8. ويتألف من ثلاث حجرات في صف يمتد شرق غرب، ولكل منها مدخل في الجدار الشمالي، يفضي إلى حوش واسع مسور. لا يوجد نوافذ لأي من هذه الحجرات، ولكل منها فتحة تهوية معينة الشكل فوق المدخل. يقوم سقف هذا البيت على صف من القناطر تمتد مع طول مبنى البيت.

الحجرة الغربية مبنية فوق جزء من مبنى الحصن الأثري، وهي الحجرة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي منه (Butler 1909: III. 61؛ عبيدات 2004: شكل 3، حجرة رقم 12).



صورة رقم 6: البيت رقم 7.

مدخل الحجرية الشرقية من هذا البيت عليه حنت وعليه نقش يوناني

(عبيدات 2004: 213، النقش الأول)، أعيد استخدامه لهذه الغاية عند بنائه في الأربعينيات من القرن الماضي، حيث أضيف آلية كتابة باللغة العربية (صورة: 12: 1)، على اليمين (بسم الله الرحمن الرحيم) وعلى اليسار (دار امروح 1944). كما يوجد على الحنت الموجود فوق مدخل الحجرية الوسطى من هذا البيت كتابة عربية (صورة 12: 2)، بطريقة الحفر أيضاً (عيد مروح)، وهو على ما يبدو نجل السيد مروح صاحب البيت.

المسكن رقم 8: (شكل: 3، صورة 7)

يقع خلف البيت (7)، ويتألف من ثلاث حجرات في صف واحد يمتد شمال جنوب، ولكل منها مدخل فتح في وسط الجدار الشرقي، ويوجد في الواجهة الأمامية نافذة صغيرة لكل من الحجرات الوسطى والشمالية، وللحجرة الشمالية نافذة أخرى صغيرة في الجدار الخلفي. كما يوجد مدخل آخر للحجرة الوسطى في الجدار الخلفي، يطل على مكان مبنى الحصن الأثري. كان لهذا البيت حوش أمامي واسع يحده من الشمال البيت 7 ومن الشرق البيت 12 ومن الجنوب البيت رقم 9، إلا أن شارعاً يتجه شمال جنوب قد تم فتحه وتعبيده فوق الجزء الشرقي من الفناء.

يقوم هذا البيت بكافة حجراته فوق أجزاء من مبنى الحصن الأثري، وهي الحجرات الطويلة الواقعة في أقصى الشرق من المبنى الأثري (Butler 1909: III. 61؛ عبيدات 2004: شكل 3، حجرة رقم 12، 13).



صورة رقم 7: مسكن رقم 8)

المسكن رقم 9: (شكل: 3، صورة: 8)

يقع إلى الجنوب الشرقي من البيت (8) ويتألف من حجرتين في صف يتجه شرق غرب. لكل منهما مدخل في وسطها في الجدار الجنوبي، واجهته الأمامية ليس له أي نوافذ، وهناك فتحة صغيرة للتهوية فوق مدخل كل حجرة. الحوش الأمامي غير مسور، ويبدو أنه كان كذلك منذ بنائه، وهو ينتهي عند الشارع المار من أمامه.

الجدران الداخلية مغطاة بطبقة قصارة طينية مطلية بالجير الأبيض، وهي في الحجرة الغربية أفضل حالاً، وتغطي كامل الجدران الداخلية والقناطر، وهي مزينة بزخارف باللون الأزرق النيلي، تتكون من خطوط أفقية متوازية تقريباً، وتغطي كافة الجدران، من الأسفل إلى الأعلى (صورة: 11).



صورة رقم 8: المسكن رقم 9

كما لوحظ وجود عدد من الفتحات الصغيرة غير النافذة (الكوى) موزعة في أماكن مختلفة من الجدران الداخلية، يبدو أنها كانت تستخدم كخزائن حائطية.

الزاوية الجنوبية الغربية للمنزل تقوم فوق أجزاء من الكنيسة الخارجية الصغيرة التي أشار إليها بتلر في هذه المكان من موقع مبنى الحصن الأثري (Butler 1909: III. 61)، حيث أن بقايا من الفسيفساء الحجرية (مكعبات حجرية صغيرة) فوق طبقة من الجير سمكها حوالي 10سم ما تزال ظاهرة على السطح في هذا المكان، في حفرة حديثة ربما خلفها بعض العابثين. كما يمكن ملاحظة وجود بقايا جدران، تبرز جاراتها قليلاً فوق سطح الأرض، تحيط بمنطقة انتشار الفسيفساء.

المسكن رقم 10: (شكل: 3، صورة: 9)

يقع إلى الجنوب الغربي من البيت (9)، وإلى الشرق من البيت (1)، وإلى الجنوب من البيت (11)، بمحاذاة الحافة الجنوبية للبركة الجنوبية والممتدة من الغرب للشرق، بطول 18.5م وأقصى وعرض يصل حتى 8م، بمحاذاة الجدار الجنوبي الخارجي لمبنى الحصن. ويقوم مبنى هذا البيت فوق الممر المسور الذي كان يحيط بالبركة والذي يأتي من الفناء المبلط أمام البوابة الغربية، متجهاً نحو البوابة الجنوبية الشرقية للحصن (Butler 1909: III. 61؛ عبيدات 2004: 2021-22). ومن الجدير بالذكر أنه ما يزال من الممكن التعرف على معالم هذه البركة بشكل منخفض عميق رغم ما وصل إليه من أنقاض.

يتألف هذا البيت من حجرتين في صف يمتد من الشرق للغرب، ولكل منهما مدخل في الجدار الجنوبي، واجهته الأمامية، يعلوها فتحات تهوية. كما يوجد مدخل آخر في الجدار الخلفي (الشمالي) للحجرة الشرقية، يطل على البركة. أضيف له حجرة صغيرة بجوار الجدار الغربي، وهي مهدمة حالياً.



صورة رقم 9: مسكن رقم (10)

المسكن رقم 11: (شكل: 3، صورة: 10)

يقع إلى الشمال من مبنى البيت (10)، وإى الغرب من (9). يتكون من حجرة واحدة مستطيلة الشكل، أبعادها (10.70 م × 3.70 م). الحجرة ليس لها سقف، ويبدو أنها لم تسقف نهائياً، حيث لم يلاحظ وجود ما يشير إلى ذلك بين أنقاضها، مثل قواعد القناطر أو الشبائح الحجرية، ويبدو أنها استخدمت كاسطبل للدواب، وليس لغايات السكن. باستثناء الجدار الغربي المهدم، كانت جدرانها الخارجية من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، حتى قبل عدة سنوات، قائمة بارتفاع حوالي 3م أو أكثر في أغلب أجزائها (عبيدات 2004: 14-2013)، بينما هي مهدمة حالياً ولم يبق منها سوى عدة مداميك. لهذه الحجرة مدخل في وسط جدارها الشرقي، ومدخل آخر في جدارها الشمالي، تغطيه الأنقاض من الخارج حتى منتصفه تقريباً، ومدخل ثالث في جدارها الغربي. كما كان لها نوافذ صغيرة في جدارها الجنوبي.

أما بالنسبة لموقعها من مبنى الحصن فهي تقع في طرفه الجنوبي، يفصلها الجدار الجنوبي عن البركة الجنوبية المحاذية لمبنى الحصن، وإلى الجنوب من مبنى الكنيسة الداخلية. وعند مقارنة موقعها وأبعادها تبين أنها تقوم تماماً فوق إحدى الحجرات التي كانت تابعة لمبنى الحصن، وهي الحجرة المتاخمة لمبنى الكنيسة الداخلية من الجهة الجنوبية، وبنفس أبعادها أيضاً، والتي كان لها ثلاثة مداخل، الأول في جدارها الشمالي، والثاني في الجدار الغربي، والثالث في جدارها الشرقي

(Butler 1909: III. 61؛ عبيدات 2004: شكل 3 حجرة رقم 17).

وعند تفحص نمط وأسلوب بناء الجدران تبين أن الأجزاء المتبقية منها، بكافة عناصرها، هي على الأغلب من بقايا الجدران الأصلية لمبنى الحصن. وقد كان، وحتى وقت قريب، بالإمكان التعرف على بعض النوافذ التي كانت تتخلل الجدار الجنوبي. كما كان الجدار الشمالي قائماً ويضم المدخل الشمالي وهو على حاله كما كان في الأصل. وكذلك الأمر بالنسبة للجدار الشرقي. أما الجدار الغربي فهو مهدم، ولكن يمكن التعرف على أجزائه السفلية بارتفاع مدامكين، وهي تظهر وجود المدخل الغربي لهذه الحجرة (عبيدات 2004: 14-2013).

إن عدم وجود الأدلة على وجود السقف، من الشبائح الحجرية والقناطر أو قواعدها، يشير ربما إلى حجارة هذه العناصر المعمارية قد نقلت لاستخدامها في مبانٍ أخرى، أو إلى أنها ربما لم تكن مسقوفة عند بنائها وقت إنشاء مبنى الحصن الأثري. فلم يشر بتلر إلى هذا في وصفه للمبنى، كما أن المخطط الذي أعده

لمبنى الحصن الأثري لا يظهر وجود قناطر في هذه الحجرة (Butler 1909: III. 61). أو ربما كانت مسقوفة في الأصل بمواد أخرى مثل الأخشاب، على سبيل المثال.



صورة رقم 10: المسكن رقم 11: من الداخل باتجاه الشرق

المسكن رقم 12: (شكل: 3)

هذا المبنى غير موجود حالياً، فقد تم هدمه قبل عدة سنوات، وبني مسجد في مكانه. كان هذا البيت يقع إلى الشرق من البيت (8) وكان يشكل الحد الشرقي لفنائنه، وإلى الجنوب الشرقي من البيت (7)، وإلى الشمال الشرقي من البيت (9)، في مكان بعيد نسبياً عن مبنى الحصن الأثري. وكان يتكون من أربع حجرات في صف واحد يمتد شمال جنوب، لكل منها مدخل ونافذة في الجدار الشرقي، واجهته الأمامية، التي تطل على حوش واسع.

سقف هذا البيت كان يستند على عوارض خشبية وأخرى حديدية وليس على القناطر. كما يختلف عن بقية البيوت الأخرى، من حيث أن مداخله ونوافذه كانت أكبر بأبعادها، كما أن جدرانه الخارجية كانت مغطاة بالقصارة، وخاصة الفواصل بين الحجارة. ويعتقد أنه بني من قبل بنائين من منطقة إربد.

المسكن رقم 13: (شكل: 3)

يقع إلى الغرب من البيوت (4،5)، إلى الغرب من الشارع الإسفلتي المار إلى الغرب من موقع مبنى الحصن الأثري. ويتألف من ثلاث حجرات، وهو مأهول حالياً ولم يتمكن من معاينته من الداخل. من خلال الفواصل في الجدار الخلفي يبدو أنه بني على ثلاث مراحل متتابعة، حيث أضيف له حجرة في كل مرة. سقفه يستند على عوارض خشبية وليس على القناطر.

المسكن رقم 14: (شكل: 3)

يقع إلى الشمال الشرقي من البيت رقم (6) إلى الشمال من الطريق الإسفلتي المار إلى الشمال من موقع مبنى الحصن الأثري. ويتألف من ثلاث حجرات. سقفه يستند على عوارض خشبية وليس على القناطر.

المسكن رقم 15: (شكل: 3)

يقع إلى الشمال من موقع مبنى الحصن الأثري، في منتصف المسافة الواقعة بينه وبين البركة الشمالية، ويتألف من حجرة واحدة فقط، لها مدخل في واجهتها الأمامية، الشمالية، ونافذة في كل من الجدار الغربي والجنوبي. جدرانها مبنية من الحجارة البزلتية، ومسقوفة بالإسمنت. ويعود تاريخ بنائه إلى عام 1963م، كما تشير إلى ذلك الكتابة الموجودة على أحد حجرات الواجهة الأمامية. وهو بهذا يكون على الأغلب آخر بناء أقيم من الحجارة البازلتية.

تختلف هذه البيوت (12-15) عن بقية البيوت المبنية من الحجر البازلتي من حيث نظام تسقيفها. فسقفها لا تعتمد على القناطر وإنما على العوارض الخشبية والحديدية. وهي مسقوفة بالأخشاب والطين، كما في البيوت (12-14) وبالاسمنت كما في البيت (15)، وليس بالشبائح الحجرية. مما يغلب على الظن أنها بنيت في فترة أحدث من البيوت الأخرى.

الوصف المعماري للعناصر المعمارية:

الجدران:

شيدت جدران المساكن الحديثة، والتي يتراوح سمكها بين (80-90سم)، من جدارين متوازيين، تم تشييدهما بواسطة كتل حجرية بازلتية كبيرة إلى متوسطة الحجم، ملئت الفراغات بينهما بالطمم الذي اشتمل على الحجارة الصغيرة، وهي تحاكي، بنمط وتقنية بنائها، جدران المبنى الأثري الأصلية. وقد جاءت هذه مبنية بشكل مداميك مستوية إلى حد ما، وخاصة في الصف الخارجي من الجدار، حيث روعي وإلى حد بعيد اختيار الحجارة مربعة أو مكعبة الشكل لهذه الغاية. كما لوحظ أن حجارة طويلة، حجارة الربط، بعرض الجدار أو أكثر قليلاً، قد وضعت أحياناً بين المداميك لتساعد في تقويتها وتماسكها، فهي تربط بين صفي الجدار الداخلي والخارجي. ويبلغ ارتفاع الجدران، بما فيها السقف، حوالي 4م، ويتراوح عدد المداميك في الجدار الواحد، من الخارج، بين (12-14) مدماك.

من الواضح أن عملية البناء قد بدأت ببناء الجدران الخارجية للمسكن الواحد، بشكل مستطيل، يحدد طوله عدد الحجرات المراد بناؤها، ثم تشييد الأقواس أو القناطر التي تحمل السقف والتي تمتد بشكل طولي مع المستطيل الخارجي، وقد ترك الفراغ الداخلي والمكون من رواقين تفصل بينهما الأقواس. ولفصل الحجرات من الداخل عن بعضها البعض بجدران داخلية أو القواطع بين الحجرات، جاءت الجدران غالباً قليلة السماكة، ومبنية من صف واحد من الحجارة الصغيرة والمتوسطة، تختلف بنمط وتقنية بنائها عن الجدران الخارجية، من حيث نوعية وأحجام الحجارة المستخدمة في بنائها، ومن حيث نوعية ومتانة البناء، مما يدفع للقول بأنها قد أضيفت من قبل السكان أنفسهم في مرحلة لاحقة. بنيت هذه الجدران الداخلية أو القواطع في المكان الذي يفصل بين الأقواس والجدران الخارجية، والتي قد يصل ارتفاعها أحياناً حتى السقف، أو يترك بينها وبين السقف مسافة تتراوح بين (50-70سم)، استعملت في بعض البيوت، كالنوافذ الداخلية بين الحجرات.

القسارة الداخلية:

باستثناء البيت رقم (12) الذي كسيت جدرانه الخارجية بطبقة قسارة طينية¹⁰، وخاصة الفواصل بين الحجارة، والبيت رقم (14) حيث غطيت الفواصل بين حجارة الجدران الخارجية بقسارة اسمنتية، لم يلاحظ وجود بقايا لأي نوع من القسارة على الجدران الخارجية في بقية البيوت. في حين أن الجدران الداخلية وأفخاذ القناطر، وحتى أجزاء من السقف أيضاً، وفي كافة البيوت، كانت مغطاة بطبقات من القسارة الطينية المخلوطة بالطين، أضيفت بالأيدي، لملئ الفراغات بين الحجارة ولتسوية جوانبها. وقد

10 - يعرف الطين المجلول بالطين بـ" وبله" أو "سمكة".

غطت طبقات القصاراة الطينية في بعض الأمثلة الجدران الداخلية بشكل تام، وأصبح سطحها مستوياً، بينما ما تزال نتوءات الحجارة بارزة في أمثلة أخرى.

ثم، وفي مرحلة لاحقة، عمد بعض السكان إلى قصاراة مساكنهم بالاسمنت، حيث جاءت لتغطي القصاراة الأولى الطينية، على ارتفاع 1م من الأسفل، ويبدو أنها أضيفت حديثاً بعد شيوع استخدام هذه المادة.

الطلاء والزخارف الجدارية (الطراشة)

طلبت طبقة القصاراة الطينية بطبقة رقيقة من الجير الأبيض (النورة)¹¹، بعد أن تم معالجتها ومزجها باللون الأزرق (النيلة). كما أن بعض الجدران الداخلية في بعض الحجرات ما تزال تحمل بقايا طبقات طلاء بألوان أخرى، أضيفت فوق طبقة الطلاء الجيري الأبيض، مثل الزهري والأصفر الأكر أو الكموني، كانت على ما يبدو تغطي كامل الجدار أحياناً، وتقتصر، في أمثلة أخرى، على الأجزاء السفلية منها (الإزار)، بارتفاع حوالي 1م عن الأرضية، على هيئة حزام يلف الجدران الداخلية، بينما بقيت الأجزاء العلوية من الجدران بلونها الأبيض.

غير أن أكثر ما يلفت النظر أن بعض الحجرات قد زينت برسوم نباتية بسيطة رسمت باللونين الزهري والنيلي، واشتملت على صورة لشجرة النخيل¹² نفذت بشكلها الواقعي، وزين بها جزء من الجدار في الحجرة الوسطى في البيت الرابع. كما زينت حجرات أخرى بزخارف هندسية قوامها خطوط رأسية وأخرى أفقية تتقاطع معها، على النحو الذي يمكن مشاهدته في الحجرة الغربية في البيت التاسع (صورة: 11).



صورة رقم 11: البيت رقم (9) الحجرة الغربية مزينة بأشرطة أفقية متوازية من اللون الأزرق النيلي.

11 - الجير الأبيض (النورة): ويعرف كيميائياً بأكسيد الكالسيوم (CaO)، وهي مادة صلبة بيضاء على شكل كتل مختلفة الأحجام من الحجر الجيري، تفصل عن الجير الناعم بعد عملية الحرق، ثم تعبأ في أكياس، وتحفظ بعيداً عن الرطوبة لتعطشها الشديد للماء، وخشبية تحولها إلى جير مطفأ. وقد شاع استخدام الجير الحي بلونه الأبيض في طلاء الجدران. يوضع الجير في أوعية كبيرة من الحديد مثل البراميل، ويضاف إليه الماء، ويترك مغموراً بالماء لمدة يوم على الأقل، ثم يخلط ويضاف إليه كمية أخرى من الماء حتى يصبح سائلاً خفيف القوام صالحاً ومناسباً لعملية الطلاء. وللحصول على لون أبيض ناصع يضاف إليه كمية من الزهرة (النيلة الزرقاء). والنيلة هي صباغ طبيعي في الأصل ذو لون أزرق (نيلي)، كان يتم الحصول عليه من نبات نيلة أو من نبات الوسمة.

12- يسود اعتقاد شعبي بأن شجرة النخيل تمثل شجرة الحياة، ترسم على الجدران تبركاً وتيمناً.

د- المداخل والنوافذ:

لوحظ بأن عدد الفتحات التي تتخلل جدران هذه المباني السكنية قليل بشكل عام، وأنها، في معظم الحالات، تقتصر على المداخل الأمامية، حيث يوجد مدخل لكل حجرة، يفضي مباشرة إلى الساحة الأمامية؛ وعدد قليل من النوافذ الصغيرة في بعض الحجرات، وفتحات أخرى صغيرة للتهوية توجد فوق المداخل أحياناً.

من خصائص هذا النمط من المباني السكنية، سمكة الجدران، ومرتفعة السقف، والمسقوفة بالحجارة ومن فوقها طبقات التراب والطين، أنها توفر جواً دافئاً شتاءً وبارداً أو معتدلاً صيفاً. لذلك، فقد تفسر قلة الفتحات الموجودة في جدرانها بأنها مقصودة بغية المحافظة على هذه الأجواء، في مختلف فصول السنة. كما لا يجب أن يغيب العامل الاجتماعي عن بالنا أيضاً، فقلة الفتحات توفر المزيد من الخصوصية للحياة اليومية، بكافة تفاصيلها، لسكان هذه البيوت.

ربما نضيف إلى ذلك أيضاً بعداً آخر، وهو العامل الاقتصادي، فكثرة الفتحات واتساعها تحتاج إلى مواد إنشائية يترتب عليها تكلفة مادية عالية.

د.1- المداخل الخارجية"

يتم الدخول إلى الحجرات من خلال المدخل الرئيسي، الذي يتراوح عرضه بين 100-110سم، وارتفاعه بين 190-200سم، يفضي مباشرة إلى الساحة الأمامية، يعلوه ساكف يستند على عضادتي المدخل (صورة رقم 12). ويلاحظ أن كل من عضادات الأبواب الجانبية والعلوية (السواكف) في مبنى قصر الباعج الأثري قد تم اختيارها، غالباً، من حجارة مشذبة ومستقيمة الأطراف. وهذا يحاكي مثيلاتها في المباني الأثرية في المواقع الأخرى في هذه المنطقة، حيث أدرك البناؤون في تلك العصور أن فتحات الأبواب والنوافذ تعتبر من نقاط الضعف في الجدران، لهذا فقد عمدوا إلى معالجتها بعناية فائقة، من خلال الاهتمام بتشذيب حجارتها بشكل متقن، وتسوية أضلاعها بشكل مستقيم، لتتراكب فوق بعضها بشكل متماسك (عبيدات 2005: 310-311). ومن الواضح أن حجارة الأبواب التي كانت مستخدمة في مبنى الحصن الأثري قد أعيد استخدامها كعضادات لأبواب المساكن، ففي البيت رقم (7) يوجد فوق مدخل الحجرة الشرقية ساكف مستقيم (صورة 12: 1)، طوله 150سم وعرضه 40سم، عليه نقش يوناني¹³، وهو معد في الأصل لهذه الغاية. وقد أضاف إليه صاحب البيت كتابة باللغة العربية، بطريقة الحفر أيضاً، كما هو النقش اليوناني، على اليمين (بسم الله الرحمن الرحيم) وعلى اليسار عبارة (دار امروح 1944). وفوق مدخل الحجرة الوسطى من هذا البيت يوجد ساكف آخر (صورة 12: 2) كتب عليه، بطريقة الحفر عبارة (عيد مروح)، وهو نجل السيد مروح صاحب البيت الأول. كما نقش على ساكف آخر (صورة 12: 3) أعلى مدخل الحجرة الغربية في البيت (4) ثلاثة صلبان، واحد في الوسط، بارز داخل دائرة محفورة، يحيط به على الجانبين صلبان محفورة. وهو ذاته النقش الذي أشار إليه شوماخر (Schumacher 1897: 153).

13 - (عبيدات 2004: 213، النقش الأول). ومن الجدير بالذكر أن كل من شوماخر (Schumacher 1897: 153، (Abb. 55)، ثم بعثة جامعة برنستون (Littmann, 1910 (D. II. S. A, P. 2): 42, Insc. 22) قد أشاروا إلى وجود هذا النقش، بأنه كان موجوداً في جدار إحدى الحجرات المطلّة على الفناء الموجود أمام الكنيسة الداخلية من الجهة الغربية.

عضادة الباب العلوية لمدخل الحجرات الشمالية والوسطى في البيت (8) تتألف من ثلاثة حجارة، على خلاف ما هو مألوف في بقية مداخل المساكن الأخرى. ونقش على أحدها باللغة العربية عبارة (رجاء من الله) (صورة 12: 4).



- صورة رقم 12: 1. ساكف يوجد فوق مدخل الحجرة الشرقية في البيت (7)، عليه نقش يوناني، ثم أضيف إليه كتابة عربية.
2. ساكف آخر يوجد فوق مدخل الحجرة الوسطى في البيت رقم (7)، وعليه كتابة عربية (عيد مروح).
3. ساكف عليه ثلاثية أشكال صليبان محفورة، يوجد فوق مدخل الحجرة الغربية في البيت (4).
- 4- عضادة مدخل الحجرة الشمالية في البيت (8) عليها كتابة عربية (رجاء من الله).
- بعض الحجرات في بعض المساكن (4، 5، 8، 10) لها مدخل آخر في جدارها الخلفي. وقد جاءت فتحاتها أصغر من الأبواب الأمامية.
- سدت مداخل بعض الحجرات بأبواب مصنوعة من الخشب (صورة: 31)، وصفح بعضها بالحديد، وبعض المداخل الأخرى تم إغلاقها بالحجارة، بعد أن أصبحت هذه المساكن تستخدم كزرائب للدواب.



صورة رقم 13: مداخل بعض الحجرات في البيت رقم (6) وعليها أبواب من الصفيح والخشب

د.2- المداخل الداخلية:

وهي في الجدران الداخلية (القواطع)، تصل بين الحجرات، للتنقل داخلياً بينها، وهي غالباً صغيرة مقارنة بفتحات الأبواب الخارجية. ويبدو أنها كانت تترك مفتوحة دائماً، إذ لا يوجد ما يشير إلى أنها كانت مزودة بأبواب خشبية أو ما شابه.

د.3- الباب الحجري:

في الجدار الشرقي للحجرة الشرقية في المسكن رقم (2) يوجد مدخل يفضي إلى حجرة مجاورة وهي نفس الحجرة التي تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من مبنى الحصن كما هو موضح في مخطط بتلر (Butler 1909: 81, III. 61؛ عبيدات 2004، شكل 3: حجرة رقم 19)، حيث يبدو أن هذه الحجرة قد تم ترميمها وإحاطها بهذا المسكن عند بنائه. هذا المدخل عليه باب حجري منحوت بشكل متقن (شكل: 6 صورة: 14) (عبيدات 2004: شكل: 4). وهو عبارة عن كتلة حجرية واحدة مستطيلة الشكل (124×86سم) وسمكها (15سم) قسمت إلى مصراعين. يوجد على طرف المصراع الأيسر يوجد بروز بشكل نصف كرة من الأسفل، يقابلها من الأعلى بروز أسطواني الشكل، وذلك لتثبيت الباب بجانب المدخل بحيث يعطيه إمكانية الحركة عند الفتح والإغلاق.



شكل رقم 6، صورة رقم 14: صورة ورسم توضيحي للباب الحجري الموجود في المسكن (2).

الواجهة الخلفية للباب غير مشذبة، ولا يوجد عليها أية نقوش. بينما الواجهة الأمامية فهي مزينة (منحوتة) بشكل الباب بمصراعيه، يقسمها خط بارز بعرض 9سم من ثلاث طبقات بين مصراعي الباب، ويحتوي الباب على أربع قطع مستطيلة الشكل، تم حفرها بشكل بارز وغائر، وزعت بالتساوي على المصراعين، وهناك حلقة دائرية منحوتة بشكل بارز، سمكها 2سم، في وسط كل دفعة، تصور مقابض حلقيّة للباب.

ومن الجدير بالذكر هنا أن بتلر لم يشر إلى وجود هذا الباب، كم أن الرسم الذي أعده يظهره على أنه نافذة (Butler 1909: 81, III. 61). وهذا ما يدفع للاعتقاد أن هذا الباب كان موجوداً في مكانه الحالي، ويبدو أنه كان مغطى بالأنقاض عند زيارة بتلر، الأمر الذي حال دون ملاحظة وجوده، حيث أن الجدار المحيط بالباب يبدو أنه الجدار الأصلي للحصن، وذلك من خلال معاينة نمط وتقنية بناء هذا الجدار، ومقارنتها بنمط وتقنية بناء جدران المسكن (2).

د.4- النوافذ:

النوافذ في هذه المباني السكنية قليلة نسبياً، إذا ما قورنت بعدد المداخل. ويقتصر وجودها على بعض هذه المساكن فقط، مثل البيت رقم (3، 4، 5، 6، 8). أما بقية المساكن فلم يلاحظ وجود أية نوافذ عدا فتحات التهوية الصغيرة.

يختلف موقع النوافذ من مسكن إلى آخر، ففي المساكن (3، 4) تقع فتحة النوافذ في جدرانها الغربية، نافذة واحدة في كل منهما. وفي البيوت (6، 8) فتحت النوافذ في الواجهة الأمامية، حيث توجد المداخل الرئيسية. أما في البيت رقم (5) فهو يعد استثناءً عن بقية هذه المساكن، حيث تحتوي الحجرة الغربية فيه على ثلاث نوافذ: في جدار الواجهة الأمامية، وفي الجدار الجانبي، وفي الجدار الخلفي، كما وتحتوي الحجرة الشرقية على نافذة في واجهتها الأمامية.

فتحة هذه النوافذ على ارتفاع حوالي 1م عن أرضية الحجرة، وهي صغيرة بشكل عام، حيث يتراوح ارتفاعها بين 100-110سم، وعرضها بين 70-80سم. يبدو أن هذه النوافذ لم تزود بأبواب لإغلاقها، حيث لوحظ وجود حجارة تسد الجزء الأكبر من فتحاتها، وتم الإبقاء على الجزء العلوي منها بشكل فتحة للتهوية.

د.5- فتحات التهوية:

وهي فتحات صغيرة في الجدران، مربعة أو معينة الشكل، ويبدو أن وظيفتها الأساسية كانت للتهوية، أكثر منها للإضاءة، وذلك لوقوع نسبة كبيرة منها في الجدران الشمالية للمساكن، أي بعيداً عن أشعة الشمس. وتقع هذه الفتحات غالباً في الواجهة الأمامية للمساكن وفوق المداخل الرئيسية مباشرة، وفي بعض الأمثلة الأخرى جاءت هذه الفتحات في الجدران الخلفية.

السقوف:

غطيت البيوت بسقوف مستوية، استخدم فيها الشبائح الحجرية البازلتية مستطيلة الشكل، وذات أطوال كبيرة وتسمى الربد (صوررة رقم: 15). وهي نفس التقنية التي كانت مستخدمة في تغطية سقوف حجرات حصن الباعج الأثري. وتستند هذه الشبائح على أطناف¹⁴، وتسمى أيضاً بالميازين، مثبتة في أعلى الجدران وتبرز عنه نحو الداخل، ويقابلها أطناف مثبتة فوق القناطر (Butler 1909: 68; عبيدات 2005: 307-8).

وتصف الشبائح الحجرية، فوق الأطناف أو الكتائف المتقابلة، بجوار بعضها البعض وبشكل متلاصق، لتغطي الفراغ القائم بين الجدار والقنطرة. وفي حال وجود فراغات بسيطة بينها كانت تملأ بشحف الحجارة لسدها.

14- الطنف أو الكتف (corbel) هو عبارة عن حجارة بازلتية طويلة مثل حجارة الشبائح (الربد)، يزيد طولها عن عرض الجدار، توضع بشكل مدمك كامل على طول امتداد الجدار، في المستوى المحدد للسقف، بحيث يكون طرفها الخارجي متساوياً مع الجدار الخارجي، ومن الداخل تبرز عن الجدار بحوالي 40-60سم. وهكذا في الجدار المقابل، أو القوس الموازي للجدار. ولتنبيت هذه الأكتاف يتم رفع الجدار ببناء عدد من المداميك فوقها، لتكون بمثابة الثقل فوق مدمك الأطناف، لتنبيتها وجعلها قادرة على حمل الشبائح الحجرية التي تشكل السقف. ووظيفة الأطناف هو التقليل من المسافة بين كل من الجدار والقوس الموازي له، حيث أن عملية الحصول على شبائح حجرية طرية ليست بالأمر الهين (Butler 1909: 68).

هذا وقد لوحظ في أسقف بيوت قرية الباعج أن الأكتاف الحجرية وضعت على كل من الجدران الخارجية والقنطرة، متباعدة قليلاً، بحيث يفصل بينها مسافات بعرض حوالي 60سم، ثم وضع فوقها، وبشكل مستعرض، حجارة أخرى، أقل طولاً، لسد الفراغ. ويبدو أنه قد تم اللجوء لهذه التقنية لعدم توفر شبائح حجرية طويلة تكفي لتسقيف كافة هذه الحجرات. ومن ثم، وبعد أن يتم تغطية كامل السقف بحجارة الربد وسد كافة الفراغات فيما بينها، يغطي بطبقة من التراب المخلوط بالحصى وقطع الحجارة، الصغيرة وخفيفة الوزن، ومن ثم تغطي بطبقة أخرى من الطين، للحيلولة دون تسرب المياه للداخل. ويبدو أن هذه التقنية هي نفسها التي كانت متبعة في معالجة السقف في المباني القديمة، حيث كان السقف الحجري يغطي طبقة من الملاط الطيني المخلوط بالحصى، ثم بطبقة من الطين (Butler 1909: 68).



صورة رقم 15: سقف أحد البيوت بالشبائح الحجرية

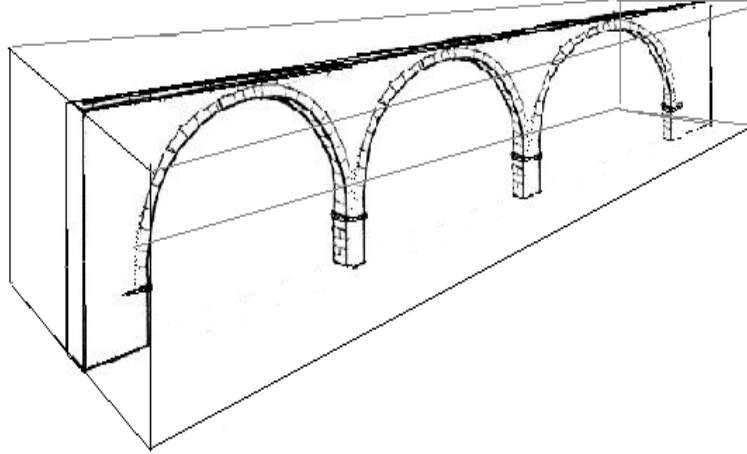
ومما تجدر ملاحظته هنا، أن البيوت رقم (12-15) تختلف في نظام تسقيفها، فقد استخدمت العوارض الخشبية والمعدنية في حمل السقف بدلاً من القناطر. وأن هذه البيوت هي أحدث في بنائها من بقية البيوت المبنية من الحجارة البازلتية.

العقود المستعرضة:

باستثناء البيوت (12، 13، 14، 15)، فقد استخدمت القناطر لحمل السقف في كافة الحجرات في المساكن الأولى في قرية الباعج الحديثة. وكان هذا العنصر المعماري معروفاً في مباني البيوت الريفية في القرى الأردنية والسورية والفلسطينية (الفييه وآخرون 1989: 7). وقد كانت هذه العناصر مستخدمة في نظام التسقيف في مبنى الحصن الأثري من قبل. وهي تقنية معروفة في كافة المباني الأثرية في هذه المنطقة، كما استخدمت أيضاً في تسقيف خزانات المياه (عبيدات 2005: 307-308).

بنيت القناطر بشكل منفصل عن الجدران الخارجية للمسكن، حيث بنيت الجدران أولاً ثم تلتها القناطر (شكل: 4، 7)، ويشير إلى ذلك أنها غير مترابطة أو متداخلة مع بعضها البعض، كما لوحظ في أحد المساكن وجود نافذة في جدارها الغربي تقع مباشرة خلف القوس، أي أن القوس قد أغلقها تماماً بعد بنائه. أما الجدران الداخلية التي تفصل بين الحجرات فقد أقيمت بعد الانتهاء من بناء القناطر.

أقيمت القناطر، كوحدة واحدة، في البيت الواحد وبشكل طولي مع امتداد حجرات المسكن، وهي في معظمها تمتد من الشرق إلى الغرب، باستثناء البيت (8) الذي يمتد شمال جنوب. ويختلف عدد القناطر في الوحدة الواحدة من بيت إلى آخر، وذلك حسب عدد الحجرات التي يتألف منها ذلك البيت، بحيث أن كل حجرة تضم قنطرة واحدة فقط. فهي تتألف في البيوت التي تتكون من ثلاث حجرات من ثلاث قناطر متتالية (شكل: 7)، ومن قنطرتين اثنتين في البيوت المؤلفة من حجرتين. وتعرف القناطر التي تعتمد على أعمدة في الوسط بالقنطرة القلابة. وقد انعكس هذا على عرض (عمق) الحجرات، حيث بلغ حوالي 4م، في حين أن طولها قد بلغ حوالي 5م تقريباً.



شكل رقم 7: رسم توضيحي لوضع العقود المستعرضة في البيت الواحد

يختلف المنزل (5) عن بقية البيوت الأخرى، حيث يوجد به صفتان من القناطر، وقد انعكس هذا على عرض عمق حجراته، التي جاءت أعرض من حجرات تلك المساكن، حيث بلغ عرضها حوالي 6م أو أكثر قليلاً.

تقوم وحدة الأقواس في البيت الواحد على أكتاف مبنية من الحجارة في الأطراف، ويسمى أيضاً الفخذ (صورة: 16، 17)، ارتفاعها حوالي 1م، وعرضها حوالي 80سم، ويرتفع بشكل مستقيم بارتفاع يتراوح بين 80-100سم، بينما هي ترتكز على أعمدة أو قواعد مربعة الشكل في الوسط (شكل: 7). ووظيفة كل من الأكتاف والقواعد هي رفع مستوى السقف بالمستوى المطلوب، والذي تراوح ارتفاعه حوالي 4م في كافة الحجرات.

استخدم في بناء الأكتاف حجارة مشذبة وتنتهي من الأعلى بما يعرف بالكورنيشة، وهي بشكل إفريز يبرز نحو الخارج، بشكل الإفريز المعماري، كما هو تاج العمود. ويبدو أن هذه الحجارة كانت مستخدمة في الأصل في أكتاف الأقواس في المبنى الأثري.



صورة رقم 16: كتف إحدى القناطر، يزيد ارتفاعه عن 1م، يعلوه إفريز.

لوحظ أن القناطر مبنية غالباً من حجارة مشدبة واجهتها مستطيلة الشكل، أطرافها مستقيمة ومتساوية أو متقاربة الأبعاد، وهذا يشير إلى أن البنائين قد راعوا ذلك عند اختيارهم لها، مما كان مستخدماً لنفس الغرض في المبنى الأثري. إلا أن الأمر لا يخلو أحياناً من وجود بعض حجارة القناطر التي تختلف من حيث التشذيب والأبعاد، والتي على ما يبدو لم تكن في الأصل من حجارة الأقواس في المبنى الأثري. وهم لجأوا إلى ذلك ربما لعدم توفر العدد الكافي من حجارة الأقواس. وكذلك الأمر بالنسبة لأكتاف الأقواس والقواعد.



صورة رقم 17: البيت رقم (4) من الداخل

يصف نلسون جلوك عملية بناء قنطرة في أحد المساكن الحديثة، في موقع صبحا الأثري، التي كانت تحت الإنشاء عند زيارته للموقع في عام 1944م، مشيراً إلى أن سقالات بنيت من الحجارة استخدمت لبنائها، كان يتم تعليتها أولاً بأول مع ارتفاع القوس، إلى أن يتم وضع حجر مفتاح القوس في مكانه (Gluck 1951: 19, 22, Fig. 14, 15).

وقد لوحظ استخدام هذه التقنية باستخدام السقالات الحجرية في موقع الباعج، في الجناح الشرقي من البيت (3) (صورة: 18).



صورة رقم 18: ، تعود لعام 1997م، تظهر السقالة المبنية من الحجارة التي استخدمت في إحدى القناطر في الباعج.

الأدراج الحجرية:

زودت بعض البيوت (4، 5، 6) بأدراج خارجية، بسيطة مستمرة، ذات اتجاه واحد، يتراوح عدد درجاتها بين 16-18 درجة، مبنية من الحجارة البازلتية، تقوم بجوار الحجرات السكنية، من الجهة الشرقية (صورة: 19). يبدأ الدرج في الساحة الأمامية وعلى مسافة حوالي 9م أمام زاوية المسكن، وينتهي عند مستوى السقف. يبلغ عرضه حوالي 130سم، ولا يوجد له جوانب أو درابزين. وقد بنيت الأدراج بشكل منفصل عن بناء جدران المساكن، ويبدو أنها اضيفت لها لاحقاً.



صورة رقم 19: تظهر درج حجري للبيت رقم (5)

وفي درج البيت (4) توجد كوة (صورة: 20)، بشكل نافذة مغلقة من الخلف، ارتفاعها 160سم وعرضها 115سم، يوجد في وسطها من الأمام حجر يصل بين الجانبين ويقسمها إلى جزأين، ويبدو أن وظيفتها الأساسية كانت اختصار كمية الحجارة المستخدمة في البناء، وربما كان لها وظائف أخرى لوضع بعض الأشياء مثل جرار الماء (الخوابي). أما بقية الأدراج فقد جاءت مسمطة.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الدرج، المستقل عن البناء، لم يكن معروفاً في المباني الأثرية في هذه المنطقة، حيث جاءت الأدراج في المباني الأثرية بشكل الدرج الطائر الذي تثبتت حجراته في الجدران. ويظهر أحد هذه الأدراج في المخطط الذي أعده بتلر لمبنى الحصن الأثري (Butler 1909, III.)

61) ويوجد هذا في الفناء الداخلي الذي يوجد فوق الخزان، من الجهة الشمالية. ومن الجدير بالذكر أن بعض أجزاء من هذا الجدار ما تزال قائمة، وتضم بعض حجارة هذا الدرج.



صورة رقم 20: تظهر كوة موجودة في درج البيت (4)

لوحظ وجود فتحات (روزنة) في أسقف بعض حجرات المنازل المزودة بأدراج، وهي على الأغلب كانت تستخدم كأسطبلات للدواب ولتخزين الأعلاف لها، وهذا يشير إلى أن الدرج كان يستخدم للوصول إلى أسطحها لتفريغ أعلاف الدواب مثل التبن على سبيل المثال. وفي سطح الحجرة الغربية من البيت (5) والتي كانت تستخدم كحجرة للضيافة لصاحبه، لوحظ أيضاً وجود فتحة في السقف، مثبت بداخلها أسطوانة من الحديد قطرها حوالي 20سم، تقع في زاوية الجنوبية الغربية، مباشرة فوق مكان تخزين الحبوب (الكوارة)، وهذا يشير إلى أن الحبوب كانت تنقل إلى السطح ومن ثم تفرغ في هذه الكوارة من خلال هذه الفتحة.

الأرضيات:

غطيت معظم أرضيات الحجرات بطبقات من الطين، الذي وضع على الأرض مباشرة بعد تسوية سطحها. ولم يلاحظ وجود أي نوع من الرصفة الحجرية أو ما شابه ذلك، كأساس تحتها. إلا أن الحجرة الغربية في البيت (5) (المضافة)، أرضيتها مغطاة بطبقة من الإسمنت.

النتائج:

كان الهدف من هذا البحث رصد وتوثيق الأجزاء التي ما تزال باقية من مبنى الحصن الأثري. وكذلك الأمر بالنسبة للبيوت الحديثة التي بنيت من الحجارة البازلتية، من حجارة المبنى الأثري. وقد تم تحقيق هذا الهدف من خلال المسح الميداني والتوصل إلى دراسة وصفية في إطار هندسي، ويمكن تلخيص النتائج بما يلي:

أقيمت مباني المساكن الحجرية الأولى مباشرة على أطراف مبنى الحصن الأثري، مستفيدة من بعض جدرانه بعد ترميمها. أو من بعض جدرانه، كاملة أو أجزاء منها، بعد ترميمها وإكمال بنائها. وتشكل مجموعة هذه البيوت ما يشبه الحلقة تحيط بالمبنى الأثري من كافة الجهات. ثم أقيمت المساكن اللاحقة بعد ذلك في ما يشبه حلقة أخرى أوسع من الأولى، بعيداً عن مكان المبنى الأثري. ثم تلاها عدد آخر من المساكن المتفرقة، أبعد من مساكن الحلقة الثانية عن مكان المبنى الأثري.

يبدو أن مساكن الحلقة الأولى والثانية قد أنشئت من قبل البنائين الذين تم استقدامهم من القرى السورية، ممن كان لديهم خبرة في التعامل مع الحجارة البازلتية في كافة العناصر المعمارية. ويميز هذه المجموعة من البيوت أنها بنيت بدرجة أعلى من الاتقان، وبأن سقوفها تتألف من الشبائح الحجرية والتي تستند على القناطر. في حين أن البيوت الأخرى تبدو في بنائها أقل إتقاناً، وسقوفها تستند على العوارض الخشبية والحديدية. وقد تم استقدام بنائين من منطقة إربد لبنائها، لم يكن لديهم نفس خبرة البنائين السوريين.

ويمكن تصنيف هذه البيوت وفقاً لموقعها بالنسبة لموقع مبنى الحصن الأثري إلى ثلاث فئات:

أولاً- البيوت التي استخدمت حجرات من مبنى القلعة الأصلية، بعد ترميمها وإجراء بعض التعديلات عليها، مثل البيوت رقم (2، 3، 8، 11) والذي يقع على الطرف الشرقي لمبنى الحصن الأثري. وتمثل هذه البيوت الحلقة الأولى في مباني القرية الحديثة.

ثانياً- البيوت التي استخدمت بقايا الجدران الخارجية لمبنى الحصن الأثري بعد ترميمها وإكمال بنائها (4، 6، 7).

ثالثاً- البيوت التي أقيمت بعيداً عن مكان المبنى الأثري، وعلى مسافات متفاوتة، (1، 5، 9، 10، 12-15) كان الحجر البازلتي، المتوفر محلياً، في أنقاض مبنى الحصن الأثري، هو المادة الإنشائية الوحيدة التي استخدمت في بناء بيوت القرية الحديثة والتي أقيمت في فترة منتصف القرن العشرين. فقد استخدم الحجر البازلتي لبناء كافة العناصر المعمارية، مثل الجدران والقناطر والأسقف والأدراج. باستثناء البيوت (12-15)، فسقوفها من الأخشاب وليست من الحجارة، وتستند على دعائم خشبية ومعدنية وليس على القناطر. اعتمدت البيوت الحديثة كلياً على المواد الإنشائية التي كانت متوفرة في أنقاض المبنى الأثري. كما أن نمط البناء قد حاكى العديد من العناصر المعمارية، مثل القناطر، وطريقة بناء الجدران، ونظام التسقيف، ومعالجة فتحات الأبواب والنوافذ. وقد أظهرت مهارة البنائين في محاكاة الأنماط والعناصر المعمارية الأثرية.

لوحظ أن بعض البيوت قد أضيف لها بعض الحجرات، لتلبية احتياجات سكانها المتزايدة، ربما بعد ازدياد عدد أفراد الأسر التي تسكنها، أو لغيرها من الاحتياجات، مثل استخدامها كإسطبلات للدواب أو

لتخزين الأعلاف. وقد لوحظ بأن هذه الإضافات تختلف في درجة إتقان بنائها عن الأجزاء (الحجرات) الأصلية من المساكن، كما أنها لا تستخدم نظام القناطر في تسقيفها.

تظهر هذه البيوت الحديثة بنمط وتقنية بنائها، وبكافة عناصرها، ما هو مألوف في المباني الأثرية القديمة في هذه المنطقة، وما كان موجوداً في مبنى حصن الباعج الأثري، كما وصفه بتلر في بداية العقد الثاني من القرن الماضي، وهذا يعود إلى براعة البنائين الذين عرفوا أسرار وتقنيات البناء القديمة.

يبدو أن تصميم هذه المساكن قد تأثر بتصميم بيت الشعر الذي ألفته هذه الأسر البدوية وعاشت فيه من قبل. فكل بيت يحتوي على عدد من الحجرات، متجاورة في صف واحد، وفقاً لاحتياجات العائلة التي تسكنه. وقد خصصت إحدى هذه الحجرات لصاحب البيت، وهي بمثابة المضافة، كما هي الربعة أو المضيف في بيت الشعر. وحجرة أخرى، مخصصة للنساء والأطفال، وهي تقابل المحرم في بيت الشعر. وخصصت الحجرة الثالثة كمخزن للغلال وأعلاف الدواب. ويفصل بين هذه الحجرات جدران قليلة العرض تعرف بالقواطع. وهذه القواطع لا تصل بارتفاعها إلى السقف، ويتخللها مداخل صغيرة تصل بين الحجرات.

روعي في تصميم مباني هذه البيوت الحديثة في الباعج المعطيات المناخية في هذه البيئة، حيث البرودة الشديدة في فصل الشتاء، والحرارة المرتفعة في فصل الصيف، وذلك من خلال سماكة الجدران، والتقليل من عدد واتساع فتحات الأبواب والنوافذ. هذا بالإضافة إلى نظام التسقيف بالحجارة، يعلوها طبقات من التراب والطين. كما روعيت الناحية الصحية من خلال نظام التهوية الذي توفره الفتحات الموجودة فوق الأبواب، بالإضافة إلى الأبواب والنوافذ. وهذا يدل على مقدرة البنائين وإدراكهم لمعطيات البيئة المحلية واستيعاب خصائصها وإخضاعها للمتطلبات الوظيفية لهذه المباني.

بقي القول بأنه قد لوحظ، خلال زيارتنا المتكررة للموقع، بأن هذه المخلفات الحضارية للموقع (بقايا المبنى الأثري والبيوت الحديثة) تتعرض للمزيد من التخريب والتدمير من قبل العابثين بحثاً عن الكنوز والدفائن.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية

- عابد، عبدالقادر. (1982). جيولوجيا الأردن صخوره، تراكيبه، معادنه ومياهه، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان - الأردن.
- عبيدات، ضيف الله. (2007). نتائج المرحلة الأولى من المسوحات الأثرية الميدانية في منطقة البادية الأردنية الشمالية. المنارة للبحوث والدراسات (العلوم الإنسانية)، جامعة آل البيت، المجلد الثالث عشر، العدد الأول: 9-57.
- عبيدات، ضيف الله. (2005). "العناصر المعمارية السائدة في المخلفات المعمارية الأثرية في منطقة البادية الأردنية الشمالية"، مجلة البيان / جامعة آل البيت، المجلد الرابع العدد الثالث: 301-332.
- عبيدات، ضيف الله. (2004أ). "قصر الباعج في منطقة البادية الأردنية الشمالية" مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، المجلد العشرون، العدد الرابع (أ): 2005-2033.
- عبيدات، ضيف الله. (2004ب). نقوش من قصر الباعج، مجلة البيان / جامعة آل البيت المجلد الرابع، العدد الثاني: 209-232.
- عبيدات، ضيف الله. (2003). مشروع المسح الأثري الميداني لمنطقة البادية الأردنية الشمالية (أرسل للنشر في مجلة المنار / جامعة آل البيت).
- عبيدات، ضيف الله. (2000). التاريخ الحضاري لمنطقة البادية الأردنية الشمالية، البيان المجلد الثاني العدد الرابع ص 216-243.
- الفيهي، سليم أسعد، فكري مرقى، الرحال، ياسرز (1989). سوف دراسة معمارية في البيئية المحلية، منشورات الجامعة الأردنية، عمان.
- محمود، عبد العزيز. (2004). "الباعج، بلدة أردنية في البادية الشمالية، دراسة اجتماعية عمرانية"، مجلة البيان المجلد الرابع العدد الثاني ص 233-264.

المصادر الأجنبية:

- Bauzou, Thomas. (1989). Les routes romains de Syrie. In: Dentzer, Jean-Marie – Orthmann, Winfried (Hrsg.): Archéologie et histoire de la Syrie II. La Syrie de l'époque achéménide à l'événement de l'Islam (Saarbrücken) 205–221.
- Butler H. Crosby. (1909). "Ancient Architecture in Syria" Publications of the Princeton University Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905 (Division II, Section A, Part 2, Leyden.
- Butler H. Crosby. (1911). Trajan's Road From Bosra to the Red Sea, in appendix to Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria 1904-5 & 1909, Division III, Greek and Latin Inscriptions: Section A, Southern Syria. Leiden.
- Butler H. Crosby. (1913). "Ancient Architecture in Syria" Publications of the Princeton University Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905 (Division II, Section A, Part 3, Umm Idjimal. Leyden.
- El-Isa, Z.H. (1985). Earthquake studies of som archaeological sites in Jordan. In Adnan Hadidi
- Glueck N. (1951). Eastern Syria and the Southern Hauran, in Exploration in Eastern Palestine IV, Part I AASOR 25-28: 134.
(ed.), *Studies in the History and Archaeology of Jordan* II: 229-235. Amman (Department of Antiquities).
- Kennedy D. L. (1982). Archaeological Explorations on the Roman Frontier in North-Eastern Jordan. BAR I nt.S. 1 34, Oxford.
- Kennedy D. L. (1995). The Via Nova Traiana In Northern Jordan: A Cultural Resorce Under Threat. ADAJ XXXIX, 1995.
- King, G. (1982). Preliminary report on a survey of Byzantine and Islamic sites in Jordan 1980, ADAJ 26: 85-95.
- Littman, E, Magie, D, and Stuart, D. R.. (1910). "Greek and Latin Inscriptions" Publications of the Princeton University Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905 and 1909 (Division III, Section A, Part 2, Leyden.
- Magie D. (1910). Milestones found on Trajan's Road between Bosra and Amman, in appendix to Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria 1904-5 & 1909, Division III, Greek and Latin Inscriptions in Syria: Section A, Part 2, Southern Syria. Leiden.

-
- Mittmann, S. (1970). Beiträge zur Siedlungs- und Territorialgeschichte des Nördlichen Östjordanlandes. Weisbaden.
- Parker, S. T. (1976). Archaeological Survey of the Limes Arabicus: A Preliminary Report, ADAJ, 21: 19-31.
- Parker, S. T. (1986). Roman and Saracens: A History of the Arabian Frontier, Published by the American Schools of Oriental Research.
- Parker, S. T. (1995). The Typology of Roman and Byzantine Forts and Fortresses in Jordan, SHAJ V, 251-260.
- Schumacher, G. (1897). Das Südliche Basan. Zeitschrift des Deutschen Palaestina-Vereins V 20: 65-227.
- Thomsen, P. (1917). Die Römische Meilsteine der Provinzen Syria, Arabia und Palaestina. ZDPV 40: 1-103.